عبد الإله بنكيران

الحركة الإسلامية وإشكالية المنهج

تقديم:
ذ. محمد يتيم

سلسلة
"اخترت لكم"
2

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

سلسلة اخترت لكم 2

عبد الإله بنكيران

الحركة الإسلامية وإشكالية المنهج

تقديم:
ذ. محمد يتيم

منشورات الفرقان
الدار البيضاء

بسم الله الرحمان الرحيم

سلسلة "اخترت لكم "2

المدير المسؤول: عبد العزيز الفقيـــر

اللجنة العلمية:

فريد شكري لحسن عدنان جمال بامي

خالد رحموني امحمد الهيلالي رشيد سليماني

رشيد الراضي إبراهيم أبو العلا

البريد الإلكتروني: e-mail: lfakir.a@voilà.fr

التصفيف: رجاء المرصاني

الهاتف:27 38 40 5 (212)

ما ينشر في السلسلة لا يعبر بالضرورة عن توجهها

الناشر: منشورات الفرقان

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الإيداع القانوني رقم : 1999/1417

ردمك 3 -20- 811- 9981

من أجل قراءة واعية وبانية

ويتجدد لقاءنا عبر هذه المساحة التي نطمح أن تتسع اضطرادا لتستوعب، بالنقاش والنقد والقراءة التصحيحية، أفكارا سطعت من عقول تحترق بـرداءة واقع أمتها الحضاري العام في انسياب روحي منسق يستوحي عمـق المـأزق وجسامة الانحدار والتفكك، ليفتح أفقا متدرجا متراكما من أجل إعادة البنـاء والترتيب وإعطاء المعنى من جديد لوعينا الحركي ومسارنا التغييري الشـامل المنبثق أصلا من قوله تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

انحيازنا هنا، في العدوة القصوى من الغرب الإسلامي، لتجدير هذا الخيـار الثقافي الاستراتيجي المندرج في إطار رموز طلائع الفكر الإسلامي المعـاصر: مالك بن نبي، جودت سعيد، خالص جلبي، يوسف القرضاوي، سليم العوى، طارق البشري، فهد النفسي وغيرهم، ننهل من معينهم المتدفـق كموجـهين فكريين لنا ولسعينا. مؤصلين لهذا الفكر من عمقنا المغربي الأصيل والوطـني الممتد في شعاب نفوسنا وتربتنا وعروقنا.

وحسبنا أن هذا المحدد الواقعي خليق بأن يصل أولنا بحاضرنا وأن يوطن لنا بشكل تلقائي وحيوي في النسيج الثقافي العام وأن يوجه بوصلتنا في السـياق المندمج والهدف الرشيد، حتى نصح، وكما المشروع الإسلامي، فصلا متطورا في أداء الحركة الوطنية المغربية على المستوى الفكري. فمشروعنا جزء مـن مطامح الرواد الكبار من أمثال علال الفاسي وأبي شعيب الدكالي والمختـار

السوسي ومحمد بن العربي العلوي ومحمد بن الحسن الوزاني والمكي الناصري وغيرهم من أبناء هذا البلد المعطاء.

إيماننا بجدارة الفكرة وصوابية المشروع جعل رهاننا على الاستمرار أكيد، وعملي بلورة هذه البذرة ورعايتها موصول.

نحسب أن الخطوات الكبرى والمنعطفات النوعية تبدأ بمثل هذا العشق والعزم والفناء.. فمن سار على الدرب وصل.

أملنا الكبير، من خلال سلسلة "اخترت لكم"، أن يرتقي القارئ الكريم من مستوى القراءة السطحية إلى مستوى "القراءة الواعية". وذلك بانفتاحنا على كل المهتمين بقضايا الفكر المتحرر وحملة الأقلام النزيهة والمبدعين الغيورين على هوية الأمة ومبادئها، دون مراعاة للانتماءات الفكرية أو الألوان السياسية. فالهدف هو تقديم "مادة نافعة" للقراء سواء كانت عبارة عن بحوث أو ندوات أو محاضرات أو حوارات..

يحدونا في هذا المسار أن نكون اليد التي بها يكتبون وأن نحمل عنهم لحين فترة أقلامهم الصريحة في نقدها، التي لا تجاري ما هو قائم من ركام الجموَد، وتكلس ديناميكية الاجتهاد. تطلق لنفسها حيزا متسعا من التأمل والإنتاج والإبداع، به تدافع كوابح التقليد السكوني والجاهزية المطبقة التي تطوق فعلنا الحضاري وتعوق تقدمه.

في هذا الإطار كان توجه "اخترت لكم" انتقائيا بشكل دقيق، لنخبة المفكرين المبدعين الرواد ابتداء، وللقضايا المثيرة للجدل والاختلاف انتهاء.

هذا الانتقاء انبثق من زحمة السطحية المؤسفة التي رانت على حركة الفكر المغربي المعاصر والبساطة القاتلة التي تسربت لتحليلات الكثيرين وتفسيراتهم للأحداث والأشياء، والكساح الهزيل الذي اعتور "سوق الأفكار".. وهذا قد يبدو في ما نرى سببا إضافيا في الزهد الذي طال تقدم مشروع "القراءة أولا" لآفاق رحيبة.

حافز إضافي وهو قراءتنا لاكتساح الخط العلماني للمجال كله واستغراقه لآفاق التأثير على أذواق الناس ومعاييرهم وأنماط تفكيرهم يضعنا بالقيلس إلى ما ذكرنا أمام تبني خيار الاستجابة الواعية التجديدية التي تفتح مسالك جماهيرية لمعانقة الإسلام، هوية هذا الشعب وروحه. فمهما اشتد عنف الطرف المغرب فإن أصالة الانتماء تدعونا قبل أي زمن مضى لنعدد وسائل الاختراق المضاد.. رغم محدودية آليات دفاعنا.

عن اللجنة العلمية

تقديم:

يتضمن هذا الكتاب مقالات وعروضا ومحاضرات ألقاها الأستاذ عبد الإله بنكيران في مناسبات متعددة، وهي تندرج في إطار مراجعة وتقييم منهج النظر والعمل في الحركة الإسلامية المعاصرة، وإسهام الأستاذ عبد الإله بنكيران في تصحيح كثير من المفاهيم التي سادت في الخطاب والممارسة الإسلاميين.

إن الإسلام –قبل أن يكون مشروع تغيير اجتماعي أو سياسي موضوعه هو الآخرون أفرادا وجماعات وحكاما ومؤسسات– هو رسالة من الله إلى الإنسان وخطاب إلى حامل تلك الرسالة أولا وقبل كل شيء، الذي عليه أن يستقيم على أمر الله، وأن يقوم داعيا إلى الله، لأن ذلك من أمر الله، وأن يسعى للتعاون مع غيره على البر والتقوى وإقامة أمر الدين في المجتمع ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية، لأن ذلك من مقتضى إسلامه وإيمانه واستجابة لأمر الله. الإسلام دين يدين به الإنسان سواء كان حاكما أو محكوما أو فردا أو جماعة، قويا أو مستضعفا، ومطاردا أو آمنا متمكنا. وليس مجرد مشروع تغيير سياسي يتجه إلى الآخر وينزه الذات. وهنا موضع التباس قد يثيره هذا الإقرار، فإن الأستاذ عبد الإله بنكيران حسبما يشير إليه في مواضع متعددة في هذه العروض وفي غيرها من المناسبات لا ينكر أهمية قيام الدولة الإسلامية الحاكمة بشرع الله الممتثلة لأمره، ولا العمل السياسي أو غيره من الوسائل المشروعة التي تساعد على ذلك وتيسر أمره، ولكنه يميز بين منهج الدعوة ومنهج طلب السلطان أو الغلبة. ففي إطار المنهج الثاني تتكيف

أعمال التربية والدعوة بهذه الغاية وتُفهم فهما وظيفيا. أي أن الانخـــراط في عمل التربية والدعوة يكون في إطار وحدود ما يخدم المشروع السياسي. لقـد كان الأستاذ عبد الإله بنكيران في كثير من المناسبات يضرب على ذلك مثـلا حيا، وهو أنه في وقت من الأوقات ساد في الوسط الإســـلامي الانتقـاء في الدعوة فلا يقع الاهتمام بدعوة الشيوخ والأمهات والآباء أو حـــتى بعـض الشباب الذين لا يصلحون للتنظيم. وكان الأستاذ يستشهد أيضا بـالوهن في الالتزام وربما ترك الشعائر التعبدية والانقلاب إلى الانحلال الخلقي عندما تقـع للفرد مشكلات مع تنظيم الحركة. كما يستشهد بالإحباط الذي يسود عندما يرى البعض أن الخطوات نحو "إقامة الدولة الإسلامية" قد أصبحـت بعيـدة المنال.

وأريد في هذه العجالة أن أسجل بعض الكلمات في حق الأستاذ عبد الإله بنكيران، وقد كانت لدي منذ مدة طويلة رغبة في كتابة شيء عنه. إن لـدي قناعة أكيدة أن الرجل بقدر ما شغل ألسنة بعض أبناء الحركـــة الإســـلامية وأقلام بعض خصومها، وبقدر حضوره في الساحة الإعلامية ممـا يوحـي أن شخصيته كتاب مفتوح، وصفحات معروضة في واضحة النهار، أقول برغـم ذلك كله مازلت على اقتناع أن كثيرا من أبناء الصحوة الإسلامية وخصومها لا يعرفون الأستاذ عبد الإله بنكيران معرفة جيدة أو ربما يعرفه بعضهم مـــن خلال صورة نمطية ناتجة عن الانطباعات المكونة عنه نتيجة الوقوف عن ظـاهر شخصيته، حيث يفكر بصوت مرتفع ويتعامل بتلقائية نادرة. فإسهام الأســتاذ عبد الإله بنكيران المتميز في عمليات المراجعة التي انتهت إلى القطيعة مع فكـر

الرفض والتأسيس لفكر المشاركة، ومن السرية إلى التفاعل مع المجتمع ومؤسساته، قد تأثر إيجابا وسلبا بتلك الشخصية بأبعادها المذكورة تلك.

إن التعرف في العمق على شخصية الأستاذ يحتاج إلى معايشة طويلة لا يكفي فيها اعتماد الانطباع الأول. لقد التقيت به أول ما التقيته بمدرج كلية الآداب في نشاط ثقافي، فكان ما أثارني جرأته النادرة وتلقائيته في التعقيب على محاضرة ألقاها مستشرق باللغة الفرنسية، وكان تدخله باللغة الفرنسية.

ومنذ ذلك اليوم وأنا أكتشف يوما عن يوم في الرجل خصالا على رأسها ما يحسبه البعض عيبه الأكبر، والواقع أنها خصلة محمودة في كل مسلم وداعية، ويتعلق الأمر بما قد تدل عليه صراحته المستفزة التي تجر عليه أحيانا كثيرة –وعلى الإطار الذي يعمل فيه– كثيرا من المتاعب، وأقصد سلامة صدر وقدرة، افتقدها في كثير ممن عاشرهم، على تحمل النقد والرجوع إلى الصواب حينما تظهر الحجة ويجمع الثقات.

واكتشفت يوما بعد يوم في الأستاذ عبد الإله بنكيران "الإنسان" ذلك الإحساس المرهف والانفعال السريع بالأحداث والعاطفة الجياشة والمبادرة إلى النجدة وخصوصا عند رؤية مظاهر البؤس والفاقة والحاجة. لذلك يخالط الاهتمام الخيري والاجتماعي ويلابس تفكيره في قضايا أخرى وفي مواقع المسؤولية سواء كان رئيسا للحركة أو مسؤولا عن الجريدة أو مسيرا للمدرسة. واكتشفت ذكاء فذا ونظرا ثاقبا وخاصة في تقييم الأشخاص وقدرة على استشفاف التحولات وريادة في مجال تجاوز المألوفات من الأفكار

والتصورات والمواقف، مما يجعله يبدو أحيانا نشازا في التفكير والنظر والتحليل لمدة من الزمن قبل أن تصدق الأحداث والتطورات كثيرا مما ذهب إليه.

هذه كلمات تقديم وتعريف وإنصاف أضعها بين هذا الكتيب أرجو أن أكون قد قصدت بها وجه الله سبحانه وتعالى لا أريد بها قصم ظهره وتزكيته بما ليس فيه، أحسبه كذلك والله حسيبه، وله كغيره من البشر، نقاط ضعفه التي أناصحه فيها سواء في خلوة معه أو مع بعض المقربين منه من إخوانه. كما أسأل الله أن يكتب النجاح للقائمين على هذا المشروع الهادف -من بين ما يهدف له- إلى توثيق كثير من اجتهادات القيادات الإسلامية المغربية التي قد لا تسمح لهم الظروف الذاتية والموضوعية بالكتابة.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

محمد يتيم

الرباط 7 جمادى الثانية 1420

موافق 18 شتنبر 1999

الفصل الأول:

أساسيات

أولا: الغاية من خلق الإنسان.

هذا الموضوع مهم وأساسي –من حيث هو لا من حيث ما سوف أقول. فالله سبحانه هو ولي التوفيق، أسأله أن يوفقنا إلى أن نقول خيرا وأن يفتح قلوب الناس له– وعلى هذا الموضوع ينبني كل شيء، عليه ينبني المنهج الذي يختاره الإنسان في حياته، وطبيعة السلوك والاختيارات التي يبني عليها تصرفاته بصفة عامة.

هذا الموضوع مرتبط بطبيعة كينونة الإنسان فوق هذه الأرض، وسبب وجودَه فيها، والمعطيات المكونة لهذا الوجود، ما شاهد منه وما لم يشاهد، أي ما كان متعلقا بعالم الغيب، وما كان متعلقا بعالم الشهادة.

إن حقيقة الواقع الذي نعيشه بمقاييس الغيب والشهادة التي جاء بها الوحي والتي جاء بها الرسول ﷺ، أصبحت باهتة في نفوسنا. ونتيجة بهوتها وضعفها فإن تصرفاتنا وأعمالنا وحركاتنا أصبحت تبعا لذلك مرتبكة بمقاييس الإسلام، لأننا ننسى حقيقة الواقع وننسى حقيقة المعطيات التي بُنيت عليها حياتنا كما خلقنا الله سبحانه وتعالى عليها.

فالناس مثلا يعلمون أنهم سوف يموتون، وسوف يبعثون ويحاسبون، فيدخلون الجنة أو النار. وحجم الربح الذي يمكن أن يربحه الإنسان إذا نجا وفاز أو حجم الخسارة التي يمكن أن تلحقه إذا وقع في العذاب والعياذ بالله، غير واضح في أذهان الناس، ولا يتذكرونه.

ونتيجة لذلك بالمقابل، فإن حجم هذه الدنيا، حجم معيشة الإنسان الحالية، حجم وأهمية طعامه، ونوع طعامه. وحجم لباسه أو نوع لباسه، كما ورد عن

الإمام أحمد رضي الله عنه: « إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وأيام قلائل»، وحجم مسكنه أو نوع مسكنه وحجم ناقلته أو سيارته ووسائله المادية، يتضخم اليوم ويأخذ من حياة الإنسان مكانا يتوسع يوما بعد يوم. حتى وصل إلى حد تقرير أحد المفكرين المسلمين وهو المفكر العالمي رجاء جارودي، أنه بالنسبة للحضارة الغربية اليوم –ونحن على طريقها– أخذ المال مكانة الله في عقول الناس، فأصبحوا يقولون "بالمال يمكن أن أفعل كل شيء". مع العلم أن الذي على كل شيء قدير هو الله سبحانه وتعالى.

ولذلك فإنني انطلقت من الآيات التي وردت في سورة البقرة حول خلق الإنسان، والتي أعطت إشارات أولية للمعطيات المكونة لحياتنا والتي سوف ينبني عليها بعد ذلك كل شيء. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا، إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث

شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه، وقلنا اهبطوا، بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم، قلنا اهبطوا منها جميعا فإما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ . سورة البقرة.

صورة واضحة لقصة الإنسان منذ أن خلقه الله سبحانه وتعالى -وقبل ذلك- إلى أن يستقر في الجنة أو في النار.

لما خلق الله عز وجل آدم أول مرة أمر الملائكة أن يسجدوا له، بعد أن علمه الأسماء كلها، لكن الشيطان، أبى واستكبر فأصبح عدوا طبيعيا للإنسان مسلطا عليه راغبا في إغوائه وإغرائه والانتقام منه وتوجيهه إلى طريق غضب الله سبحانه الناتج عنه العذاب في النار. وله حضور يومي مع الإنسان في كل أحواله ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ (الأعراف 27). ومع ذلك فقلّ من الناس اليوم من يتحدث عن الشيطان، فترى عموم الناس لا يكادون يذكرونه إلاّ بصيغة الاستهزاء وبدون تقدير حقيقي لما يمكر به للإنسان.

وأسكن الله آدم وزوجه الجنة وأنعم عليهما بأن يأكلا من حيث يشاءان إلا شجرة واحدة ولكن الشيطان أزلهما فأكلا منها. فأمر الله عز وجل آدم بالنزول إلى الأرض، هو وزوجته، وتاب عليه. ولكن ذريته بقيت من

بعده معرضة لهذه المعصية، مطالبة بالتوبة باستمرار. ومنذ ذلك الوقت والله سبحانه وتعالى يرسل الأنبياء، النبي بعد النبي ، والرسول بعد الرسول لكي يخبر الناس بحقيقة واحدة أساسية، مفادها أن الله عز وجل هو الذي خلقهم فعليهم أن يؤمنوا به، وأن يعبدوه، وألا يستعينوا بغيره، وأن الله سبحانه وتعالى أنزلهم إلى هذه الأرض ابتلاء واختبارا.

والإنسان الذي يعبد الله سبحانه وتعالى ولا يشرك به شيئا ويتعامل مع هذه المعطيات على حقيقتها وطبيعتها، ويصبر على ذلك، سوف يدخل الجنة. والإنسان الذي ينسى هذه الحقيقة ويُغرق في الأرض، سوف يكون من أهل النار إذا لم يتداركه الله برحمته ويتوب من قريب قبل فوات الأوان.

واستمرت هذه الحقيقة مع الأنبياء والمرسلين، نبيا بعد نبي، ورسولا بعد رسول، حتى بُعث رسول الله ﷺ.

كان ﷺ يقول: ﴿ما مثلي ومثل الدنيا إلا كرجل قال في ظل شجرة ثم راح وتركها﴾. واستجد مع رسول الله ﷺ أمران أساسيان: الأمر الأول هو أن عقيدة الحق والآخرة انتصرت على عقيدة الباطل والدنيا. والأمر الثاني هو أن كل أطراف البشرية -تقريبا- بدأت تدخل في الإسلام، فامتد إلى المغرب ومنه إلى إفريقيا، وامتد إلى الأندلس ومنه إلى مشارف فرنسا، وامتد إلى البلقان وآسيا والهند وأفغانستان والصين، وامتد إلى أطراف الأرض كلها. هذه الأمة التي انطلقت من الجزيرة العربية والتي كانت أحوالها مرتبكة بجميع المقاييس، استقامت كل أحوالها، بما في ذلك أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية. وأصبحت أمة ذات إشعاع إيجابي على البشرية.

فعاشت مرحلة من أسعد الفترات في تاريخها. وعاش العالم نظاما دوليا في ظل الإسلام، لأن رسول الله ﷺ آمن به، والصحابة رضوان الله عليهم من مهاجرين وأنصار، ومن دخل في الإسلام من بعدهم، وأقاموا حياتهم على الانتباه لهذا الأصل، والوعي بسبب وجودهم في الحياة الدنيا. وبمقدار ما بقيت هذه الروح قوية، بمقدار ما تقدمت الأمة. ولما خبت هذه الروح، بدأت الأمة بالتراجع.

ثانيا: الحضارة الغربية والنظام الدولي الجديد:

تراجع المسلمين اقترن بأمرين اثنين خطيرين:

الأمر الأول: عادت "الدنيا" -كغاية وهدف وليس كبلاغ للآخرة وكدار للتزود- عادت لكي تغزو قلوب المسلمين وعقولهم من جديد. فشاعت الفاحشة والمنكر والمعاصي، وقلت الطاعات.

الأمر الثاني: فسدت عقائد المسلمين من خلال دخول فلسفات أجنبية، وسكوت العلماء عما وجب أن يقولوه وأن يجهروا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فدخلنا مرحلة يسميها العلماء بمرحلة الانحطاط، دامت على الأقل أربعة إلى ستة قرون. وهي المرحلة التي ضيعنا فيها الأندلس، والتي أصبحنا ندافع فيها عن أرضنا عوض أن نكون فيها فاتحين أرض الله بدين الله.

وفي الغرب، بالمقابل، كانت الكنيسة هي المهيمنة على الدول النصرانية. هذه الكنيسة اصطدمت بالتطور الطبيعي للمجتمع الغربي لما التقى بالإسلام.

فقد التقى الأوروبيون بالإسلام في الأندلس، حيث كانوا يعيشون مع المسلمين، ودخل عدد منهم في الإسلام. والتقوا بالإسلام أثناء الحروب

الصليبية التي دامت قرنين. والتقوا بالإسلام في صقلية. ووقع تزاوج، ومـوت عدة أفكار من المسلمين إلى النصارى. وبدأ النصارى يفكـرون وينتقـدون حضارتهم، وينتقدون ما تقول الكنيسة، من بين ما قالوه أن الأرض ليسـت مسطحة كما تدعي الكنيسة بل هي كروية. والذين قالوا بهذه الأفكار، منـهم من قُتل ومنهم من أُحرق، فكانت تحدث يقظة مبنية على العلـم التجريـبي، ووقعت معركة بين الكنيسة والعلم. وفي هذه المعركة انهزمـت الكنيسـة في النهاية. فبقي المجتمع الغربي بدون دين: تقدم من الجانب المادي، ولكـن في الجانب الروحي، تخلص من النصرانية ولم يجد بديلا. فقامت فيه ثقافة لادينية، لا تريد أن تعترف بالله، لأنها إذا اعترفت بالله ستعترف بالكنيسـة، فبـدأت تحاول أن تثبت فكرة الإلحاد. فالإنسان بالنسبة إليها إذا لم يكن مخلوقا، فلا بد أنه وليد الصدفة، وإذا كان وليد الصدفة فهو إذاً حيوان راق.

فنظرية التطور ليست نظرية علمية بل هي مَخرج. فالله سبحانه وتعـالى الخالق لم يعد له اعتبار من الناحية العلمية، ولا سبيل إلى تفسـير الحيـاة إلا بالصدفة، فهم متمسكون بها كعقيدة. ولهذا عندما يتحدثون عن الظاهرة التي سمحت -حسب تصورهم- بمرور الإنسان من مرحلـة القـرد إلى مرحلـة الإنسان، يقولون: «وقع هذا عبر ملايين السنين». فيُوسعون هذا الزمن كـي يكون مجالا ممتدا بحيث يَسمح بتصور حدوث المستحيل. ولكن في العمق هـو مشكل عقيدة لديهم.

وبقيت المسألة تتطور حتى وصلنا في عصر الاستهلاك إلى أن صار الإنسان حيوانا مستهلكا فقط ، هدفه هو أن يعيش "جيدا"، وما دامـت الحضـارة

الغربية تعتبر الإنسان أداة للاستهلاك، فأهم شيء إذاً في حياة الناس هو الاقتصاد، ولهذا نرى كل شيء يدور حول الاقتصاد. وهذا الأمر أصبح شاملا وعاما، ودخل فيه المسلم وغير المسلم.

فأصبح همّ الإنسان هو التنافس في اقتناء الأشياء، لأنه ما دام استهلاكيا فلا بد أن يصبح هذا الاستهلاك بدون نهاية لكي يبقى هدفا في حد ذاته. وهكذا جعلت الحضارة الغربية الوسائل التي خلقها الله تعالى للإنسان أهدافا وغايات لحياته.

وأخذت الحضارة الغربية بالأسباب في مجال القوة فتقوت وغزت ديار المسلمين المتخلفة والمنحطة، ووصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم، خصوصا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. فانبسط على الكون نظام دولي جديد.

هذا النظام الدولي الجديد ليس هيمنة أمريكا، فأمريكا جزء منه. النظام الدولي الجديد هو هيمنة الفكر الفلسفي القائم على إنكار الآخرة أو عدم أخذها في الاعتبار على البشرية جمعاء. وليس هذا بمؤامرة الغرب علينا، بل هذا واقع الغرب، والذي هو عليه حريص، ويريد أن يبسطه على العالم لكي يبقى مطمئنا على دوامه واستمراره.

هذا النظام الدولي الجديد لا يمنع الصلاة ولا يمنع الصيام ولا يمنع الزكاة، ولكن يمنعك أن تدّعي أن هناك هوية عامة أخرى غير هوية النظام الدولي الجديد: يجب أن يعيش الناس وفق منهجه وآرائه وأفكاره كسقف، و تحت هذا السقف اعبد ما شئت كشخص لا يبالي بك أحد. أو على الأقل لا تعترض عليه حتى تكون في سِلم شامل وكامل.

هذا النظام الدولي الجديد الذي يتزعمه الغرب لم يجد مقاومة في الصين، ولم يجد مقاومة في اليابان ولا في الهند، ولم يجد مقاومة في أستراليا ولم يجد مقاومة في أمريكا اللاتينية. لأنه رغم قيام ديانات غير النصرانية في هذه المناطق، ولكنها في الأصل تتفق على فكرة فصل الحياة الدنيا والجانب المادي فيها عن التدين الشخصي إذ تجعل الدين علاقة شخصية بين الإنسان وربه، فليعبد بوذا أو ليعبد براهما أو ليعبد الشمس أو ليعبد القمر أو ليعبد البقر أو ليعبد الشيطان.. الذي بقي يقاوم ويرفض هذا الاستسلام هو الإسلام، لماذا؟

لأن الإسلام لا يقبل الإعلان بالفاحشة. يمكن أن يقع الإنسان في الفاحشة لكن إعلانها لا يقبله الإسلام.

الإسلام لا يقبل أن يكون هنالك شذوذ جنسي، وجمعيات الدفاع عن الشاذين جنسيا.

الإسلام لا يقبل أن يلتقي النساء و الرجال ويتعرى بعضهم أمام بعض كما يقع اليوم في كثير من الأماكن والشواطئ وغيرها.

الإسلام يقوم على: ﴿وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا﴾. لقد جعل الله لرسوله ﷺ الأرض مسجدا، يعني أنك تملك أن تصلي في كل مكان، لا تحتاج أن تكون في مسجد له صومعة كي تصلي. ومعنى ذلك أن كل أعمال الإنسان المسلم عبادة. فالصلاة عبادة والوضوء عبادة، والتجارة عبادة، والحكم عبادة، والحرفة عبادة ، والوظيفة عبادة.. ويلزم في العبادة أن تأتيها كما يحب الله ورسوله، لا أن تأتي بها كما تحب أنت.

وفي هذا الإطار فقط يمكننا أن نفهم، لماذا دولة هامشية، متخلفة وفقيرة

كالسودان حين قام فيها نظام ذو توجه إسلامي، قامت الدنيا ولم تقعد. فبعد أن حاولوا تأجيج المؤامرات من الداخل وذلك بالمظاهرات وتسخير القيادات العسكرية، هاهم الآن يغزونها من الخارج. ونحن نسأل لإخواننا النصر، ويمكن -لا قدر الله- أن تسقط السودان، لأن قوى البغي كلها تكالبت عليها بدءا "بإخوة الدين"، لكن "إخوة الدين" هؤلاء لا يفقهون شيئا، يعتقدون أن قضية السودان هي قضية نزاعات على الحدود، أو مشاكل منافسة مصر للسودان أو غيرها. لا يفقهون أنهم داخلون في مخطط لإسقاط تجربة قامت تريد أن تجعل الوطن كله مسجدا للصلاة.

ونحن اليوم نعيش في نفس النظام " Le système"، مع بعض المقاومة. هذا النظام الذي يقوم على الاستجابة لرغبات الناس، والناس أصبحت مستقرة عندهم الرغبة في أن يعيشوا هذه الحياة كما تسول لهم أنفسهم، لا كما يريد الله عز وجل لهم ورسوله ﷺ.

وإذا قاوم بعض الحكام، فسوف يكون مصيرهم الزوال. فالرئيس الشاذلي بن جديد لما قرر تحرير النظام السياسي والسماح بتأسيس الأحزاب، أرسل إليه الرئيس الفرنسي ميتيران يقول له: « إنني أدعوك إلى مراجعة موقفك هذا، أي الترخيص للأحزاب كلها، وخصوصا الإسلامية وإن فرنسا مستعدة أن تتحمل عنك كافة ديون الجزائر». فقال له: «أما الحرية فقد قررنا أن نعطيها، وأما الديون، فسنستعين بالله عليها». وقال قبل ذلك في مناسبات أخرى: « ليس من الطبيعي أن نعطي الحرية للحزب الشيوعي ولا نعطيها للإسلاميين لكي يؤسسوا أحزابا». فلما انتصرت الجبهة الإسلامية للإنقاذ، جاء ضباط

الجيش يطلبون منه أن يُلغي الانتخابات ونتائجها فرفض، فنـــــزعوه عـــن السلطة.

لكن هذا لا يعني أن العلاقة القائمة بين الغرب والعالم الإســـلامي كلـــها علاقة صراع، فأنا لا أعتقد صحة ما يدعيه البعض من أن الغرب بعد تصفيـــة صراعه مع الكتلة الشيوعية يميل إلى اعتبار الإسلام الناهض عـــدو الحـــاضر والمستقبل بسبب واحد وهو عدم وجود عدو آخر.

أعتقد أن هذا السناريو ناتج عن قرارات واضحة تُتخذ في مراكز اللوبيات النافذة المصبوغة بالصبغة الصهيونية المعادية بطبيعتها للإســـلام والمســـلمين والمالكة لوسائل الإعلام الرئيسية في العالم والمهيمنة على كثير من المؤثـــرات التي تصنع القرار السياسي وتساهم فيه.

لعل هذا هو ما يفسر ما ذهب إليه الباحث الأمريكي القديـــر أنتـــوني ي سوليفان:« وأيا ما كان النظر لهذه المسائل فإن المرء سيجد أخبارا طيبـــة بهـــا يسر، وسيلقى أخرى مزعجة تخيف: أما ما يدعو للحسرة حقا، فـــهو حـــظ الأخبار السيئة من الذيوع والانتشار في العالم الإسلامي أكبر من حظ الأخبار التي تسر وتفرح. وإن وجدت هذه الأخيرة على نحو ما»[1]

إن الرأي العام الغربي يقوم على نصيب كبير من الموضوعية والاســـتعداد لمراجعة قناعاته كلما وُضعت أمامه معطيات جديدة. لكن المشكل يَكمن في أن

[1] أنتوني. يّ سوليفان: «في الرد على دعاة المواجهة بين الإسلام والغرب» الديبلوماسي -عـدد 1- صفحة 19 فبراير 1996.

الخصوم الطبيعيين للمسلمين (الصهيونية وأنصارها والواقعون تحت تأثيرها) يملكون الإعلام وفن عرض الأصوات والأخبار بالطريقة التي تضطر المتابع إلى الانحشار في زاوية سوء الظن وربما الكراهية والعداوة لكل ما هو إسلامي أو عربي مما يسهل مرور أطروحة الخصوم الطبيعيين للأمة الإسلامية الداعين للصراع الحضاري والمتخوفين من تطبيع العلاقات مع الإسلام والمسلمين.

إلا أن هنالك سببين على الأقل يحولان دون تحقيق الإجماع على العداء للإسلام والمسلمين رغم هذا الكيد الإعلامي الثقافي الخطير:

الأول، أن هنالك في صفوف الغرب علماء وباحثين نزيهين ومنصفين ما فتئوا يرفعون أصواتهم رغم محاولات التهميش منادين بوجوب إعادة النظر في هذه السياسة التي يدعو إليها خصوم الحوار والتفاهم وبناء على أسس جديدة للعلاقات بين الغرب والإسلام. وهو الأمر الذي عبر عنه خطاب سوليفان في كلمته التالية: «إن الحقيقة التي يجب ألا تغيب عن بالنا هي أن الرأي العام الغربي ليس متحدا في عدائه للإسلام. وأكثر ما يكون هذا الحديث صدقا حين يتعلق الأمر بالولايات المتحدة الأمريكية. فهناك جماعة متباينة من المفكرين الأمريكيين ممن تستطيع أن تسميهم بالمحافظين أو التقاليديين لا يحملون أي قدر من العداء للإسلام. إنهم في واقع الحال يتعاطفون مع كثير من الغايات الثقافية لحركة النهوض الإسلامية المعاصرة. وفي الولايات المتحدة يجد المرء رجالا بارزين مثل المنظر السياسي شارلس بيتروف والمستشار الاقتصادي العالمي جيمس نوفاك وصحافيين مثل جون ب.اتل وجوزيف سوبران ومؤرخين أمثال رالف ريكو ولينواغد ليغيو والمرشح الرئاسي باتريك جي.بوكنان، هؤلاء

جميعهم يمثلون نماذج لمثقفين ومحافظين يتمتعون بشهرة واسعة يستطيع الإسلاميون أن يدخلوا معهم في حوار مثمر وبناء. وهناك مطبوعات ذات رصانة علمية وفكرية مثل العصر الحديث Modern Age و The University Bookman وكلتاهما مؤسستان ثقافيتان يمكن الانتفاع بهما في هذا الحوار»[2].

والثاني أن الإسلام والمسلمين ليسوا أعداء محترفين للغرب لا يرون علاقتهم معه إلا على أساس صراع ينتهي بإلغاء أحدهما من الوجود، رغم وجود بعض المهووسين الذين يحلمون بالجهاد في عواصم أوروبية في الوقت الذي يرجون من إداراتها تسوية وضعيتهم الإدارية وتمتيعهم باللجوء السياسي أو الرعاية الاجتماعية.

إن المسلمين في الحقيقة شعوب مسالمة، حين يتوفر لهم حق العبادة والدعوة. وهم لذلك لا يرون وجها للجوء إلى العنف بأي صفة كانت. ولكن ما يجب إدراكه كذلك أن هذه الشعوب حين تمس في حقها في الاختلاف وحين تُحمل على ترك قيمها وتعويضها بقيم المجتمع الاستهلاكي ترتفع فيها حرارة المقاومة لسبب واحد وهو اقتناعها بأن ما عندها خير مما يقترحه عليها الآخرون. وكذلك حين تُمس في سيادتها، فقدرتها على التضحية قد لا يكون لها مثيل.

وعلى هذا، فإن ما دعا إليه الباحث الأمريكي أنتوني. بي سوليفان من تعاون بين أطراف الحوار الإيجابية في هذا الجانب، هو أمر صائب على أساس

[2] المرجع نفسه.

حق كل طرف في العيش وفق تصوراته وقناعاته، وعلى أساس تحديد حد أدنى من القيم المشتركة بين الإسلام والنصرانية كالدفاع عن الأسرة ومحاربة الشذوذ والمخدرات وما إلى ذلك من القيم السيئة المرتبطة بالمجتمع الاستهلاكي المادي التي تهدد الجميع، وهي أمور يمكن العمل لها بشكل جماعي ومنسق على أساس احترام اختلاف وخصوصيات الطرف الآخر وإقامة الحوار والحجة والإقناع كمنهج لتصفية ما بقي عالقا من إشكالات في عالم يخف فيه الخوف ويستقر الأمن كإطار يصدر فيه عن الإنسان خير ما فيه. وإننا لنعلم أن هذا المشروع سيلقى عداوات كثيرة وسيجد معارضين وربما من الطرفين ممن لا يستفيد من هذا الوضع الذي ندعو إليه. ولكن سنة الله في الكون هي التدافع.

وإذا كان أنصار التيار الصدامي يعرفون كيف يصلون إلى مقاصدهم فلا يجب أن نلوم إلا أنفسنا إذا نحن تركناهم يفعلون.

الفصل الثاني:

منهج التغيير الإسلامي

واقع المسلمين اليوم:

إذا تأملنا مجتمعات المسلمين اليوم نجد أن هناك عدة انحرافات على مستويات عديدة:

-على مستوى العقيدة:

هناك انحرافات خطيرة جداً، من زيارات للأضرحة وتبرك بالأولياء وتقديم النذور لهم.. ولكن الأخطر هو "العقيدة الدنيوية": فتجد الإنسان المسلم اليوم في تناقض كبير، فهو من جهة يصلي ويصوم.. ولكن عندما يتعلق الأمر بالرشوة يأخذها بدون تردد. وعندما يريد إنشاء مشروع اقتصادي لا يفكر في المال الحلال، بل يذهب إلى البنك ويقترض بالربا. فأمام إغراء المال، تتوقف العقيدة الإسلامية عن أن تُملي على المسلم المعاصر حياته، وتحل محلها العقيدة الأصل والتي هي "العقيدة الدنيوية".

-على مستوى العبادات:

أما الذي يطبع العبادات لدينا فهو التهاون، ما دام الأصل الذي هو العقيدة الإسلامية مهزوزاً وتقوم مقامه "العقيدة الدنيوية". فالإنسان المسلم اليوم لا يرى أجرا آنيا على هذه العبادات، فيطبعها -تبعا لذلك- التهاون.

-على مستوى المعاملات:

كذلك المعاملات، يطبعها الانحراف في العموم. فالموظفون لا يكادون يُخلصون في وظائفهم، والحرفيون كذلك. والمعاملات سيئة إلا من رحم الله سبحانه وتعالى.

ففي المجتمع الذي قيمته الأساسية وعقيدته الأساسية هي "العقيدة الدنيوية"

تجد الإنسان يميل إلى "الدنيوية" بكل ما يملك: فالإنسان الفقير لا يملك شيئا فهو يستكين إلى الأرض، والإنسان الذي لديه قليل من المال يفسد قليلا، والذي لديه الكثير يفسد أكثر، والذي لديه المال والسلطة فهو يستعملهما كي يفسد في الأرض، ويتمتع في الدنيا لأنها هي التي تَملأ عليه عقله.

– على مستوى الشرائع والأحكام التي تنبني عليها حياتنا الجماعية فيما يخص طرق وأساليب الحكم، وفيما يخص العادات والتقاليد أيضا، وهي تحكم فينا رغم أنها ليست قرار حاكم بعينه. ففيما يخص الأحكام والقوانين فهناك تلفيق: قليل من القوانين الفرنسية، قليل من الشريعة الإسلامية (مدونة الأحوال الشخصية مثلا). وهذا التلفيق خلق وضعا مرتبكا وضاعت معه الحقوق سواء فيما يخص الأحوال الشخصية أو فيما يخص الأحكام أو القوانين العامة أو فيما يخص السياسات التي تقوم عليها الحكومات.

هذه هي صورة مجتمعنا اليوم بصفة عامة، وهي صورة غير مفرحة. والنتيجة هي ذلك المواطن "العادي" الذي ينشأ في هذا المجتمع: في عمله يأخذ الرشوة ويوم الجمعة يرتدي الجلباب ويذهب إلى الصلاة ويوم السبت يذهب للهو ويوم الأحد يذهب إلى الشاطئ ويوم الإثنين يعود ليحكي كل هذا.. وتبقى حياة المسلم مرتبكة.

ذهبت إلى قصر الحمراء الذي بناه بعض ملوك المسلمين، وذهبت إلى المدينة القديمة، فكأنني أتجول في مدينة فاس، إذا استثنينا الوجوه والعادات والناس (فهم نصارى)، وإذا استثنينا المساجد التي أصبحت كنائس. وفي إحدى المقاهي، رأيت صورة فوتوغرافية لأمير غرناطة الذي سلّم المفاتيح للأمير

النصراني المنتصر. لقد كانت صورة مؤلمة كيف هذه المنطقة، ثمانية قرون والإسلام يعيش فيها آمنا مطمئنا، تصدح مآذنها بالآذان والناس يهبون فيها إلى الصلاة.. بين عشية وضحاها مُحي منها الإسلام. عندما أتأمل في هذه المسألة، أخاف على هذه البلاد التي نحن فيها، فليس هناك أي ضمانة لكي نظل في هذه البلاد مسلمين، إلا من عند الله سبحانه وتعالى، ثم من عندنا نحن بالأخذ بالأسباب، بالالتزام الصحيح الحقيقي بالإسلام الذي أُنزل من عند الله. فيجب ألا ننظر إلى الأمر بمقاييس السنة أو السنتين أو عشرين أو ثلاثين عاما، بل بمقاييس الأجيال المتتالية والقرون والتغيرات التي تقع في بلاد المسلمين. لقد أصبح عدد كبير من المسلمين اليوم يتحدث بالفرنسية وليس بالعربية، و لا يعرف الصلاة ولا يصوم رمضان ويشرب الخمر ولا يؤمن بالله.

يجب علينا إذاً أن نفهم ما هو المشكل وأن نفقه دورنا في هذه المرحلة التي نعيشها. فكل إنسان فهم ووعى، يصبح قلعة من قلاع الإسلام، يصبح جنديا. ليس الجندي هو الذي يقاتل فقط، فالقتال هو نوع من أنواع الجهاد، الجندي هو الإنسان المسلم الملتزم بدينه.

فلابد من العمل على تغيير هذا الواقع، ولابد من اعتماد أساليب الإسلام في ذلك.

الدعوة أم الدولة:

بُعث الرسولﷺ وهو يتيم وفقير:﴿ألم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلا فأغنى﴾ (الضحى). ولما توفيﷺ، كان عنده ما هو أعظم

من الملك، كانت له دولة، تقوم الدول على الصفراء (أي المال)، والبيضاء (أي السيف)، وقامت دولته على التقوى والإيمان. وصرِّفت هذه الدولة بدول عديدة منذ ذلك الوقت إلى اليوم وما تزال: نشأت عنها الدولة الأموية والدولة العباسية والدولة العثمانية، ونشأت عنها في المغرب دولة الأدارسة والموحدين والمرابطين والوطاسيين والسعديين والعلويين، ونشأت عنها في أفغانستان دول، ونشأت في إفريقيا دول. قامت كل هذه الدول على الإسلام. فالإسلام كدعوة، يستجيب الناس لها ويجتمعون عليها، يصبح من الواجب أن ينتظم أمر هؤلاء الناس به. فيجب إذا أن تقوم لهم دولة. ونحن اليوم من حقنا أن نطالب بدولة جامعة للمسلمين. فلما سقطت الخلافة العثمانية في تركيا، قامت دعوة "الإخوان المسلمين" تريد إعادة بناء الخلافة الإسلامية، وهذا أمر مشروع. ولكن نطرح سؤالا: هل نحاول أن نسترجع الدولة، أم نحاول أن نقوم بالدعوة؟

عندما نتحدث عن التغيير، يواجهنا منهجان: المنهج الأول هو التغيير الإسلامي الأصيل، وله طبيعته. والمنهج الثاني هو التغيير السياسي، وله طبيعته أيضا، فهو تغيير سياسي محض، مبني على أن صاحبه يقول للآخرين:"إن هؤلاء الذين يحكمونكم ليسوا على شيء، تعالوا أحكمكم أنا وسوف أفعل وأفعل وأفعل!!"

ولكن مصيبة هذا الكلام أن كلا الطرفين لا يكون قد غير شيئا في نفسه. فعند وصول دعاة هذا المنهج إلى الحكم سيفعلون ما كان يفعله الذين من قبلهم، أو أسوأ منهم. لأن الواقع لم يتغير. يمكن أن يتغير الشكل: أن يكون

الناس بدون لحيّ، فيصبحون ملتحين، وتغلق الخمارات... لكن إذا كان الإنسان منحرفا، فلا ينفع أن تمنعه من الخمر، وإذا كان منحرفا، فلن ينفعك أن تطبق عليه الحكم. ولهذا فمنهج التغيير السياسي هو منهج فاشل، والذي يحلم أن يغير واقع المسلمين "سياسياً" فهو فاشل، وإن نجح في أن يصل إلى الحكم، ما دام البشر هم البشر.

إن الإسلام قبل أن يكون دعوة إلى تغيير الأشكال والأنماط والأحكام، هو دعوة إلى تغيير ما بالنفس أولا وقبل كل شيء. فهو يدعو إلى منهج معين في مختلف مجالاته. وأول عنصر يركز عليه هو الإنسان. يقول الله عز وجل:﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد 11). فتغيير السلطة لا يغير الشعب، ولكن تغيير الشعب يغير السلطة، يغير طبيعة حكم السلطة. ربما لا يغير أشخاصا، فعدد من الناس كانوا ملوكا في أقوامهم، ولما جاءوا إلى رسول الله ودخلوا في الإسلام أقرهم ﷺ على ملكهم. ولكن شتان بين الإنسان الذي جاء والإنسان الذي رجع.

فالدعوة الإسلامية أول ما توجهت، توجهت إلى الإنسان لكي تحمله مسؤوليته بمقاييس العقيدة. ونتبين ذلك من خلال سيرة رسول الله ﷺ.

لما أسلم مع رسول الله ﷺ عدد من المسلمين، ما بين الثلاثين والأربعين، اشتدت مضايقة قريش لهم. فأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة "ففيها ملك لا يظلم عنده أحد" كما بلغ رسولَ الله ﷺ عنه. جاء في السيرة: «ثم إن الرسول ﷺ لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر

على أن يحميهم ويمنعهم مما هم فيه قال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه". وخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة في الإسلام. وكان في مقدمة المهاجرين: عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة وزوجته والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعبد الرحمان بن عوف... اجتمع في أرض الحبشة من أصحابه ﷺ بضعة وثمانون رجلا. فلما رأت قريش ذلك أرسلت إلى النجاشي عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص -ولم يكن قد أسلم بعد- بهدايا مختلفة كثيرة إليه وإلى حاشيته وبطارقته، رجاء أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين في جواره، ويسلمهم مرة أخرى إلى أعدائهم. فلما كَلَّما النجاشي في ذلك، وكانا قد كَلَّما من قبل بطارقته وقدما إليهم ما جاءا به من هدايا، رفض النجاشي أن يسلم أحدا من المسلمين إليهما حتى يكلمهم في شأن دينهم الجديد هذا. فجيء بهم إليه ورسولا قريش عنده. فقال لهم: "ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل؟" فكان الذي كلمه، جعفر بن أبي طالب فقال: "أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده. وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ونهانا عن الفواحش فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا

ليردونا إلى عبادة الأوثان. فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك". فسأله النجاشي أن يتلو عليه شيئا مما جاء به الرسول ﷺ من عند الله، فقرأ عليه جعفر صدرا من سورة مريم. فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، ثم قال لهم: "إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة". ثم التفت إلى رسولي قريش قائلا: "انطلقا! فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون".

ثم إنهما عادا فقالا للنجاشي: "أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون". فأرسل إليهم في ذلك. فقال له جعفر بن أبي طالب: "نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد ﷺ يقول: هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول". فضرب النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عودا ثم قال: "والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود". ثم رد إليهما هداياهما وزاد استمساكه بالمسلمين الذين استجاروا به. وعاد الرسولان إلى قريش خائبين».

هذه الفقرة من سيرة رسول الله ﷺ فيها عبرة كبيرة بالنسبة إلينا. فنلاحظ أن المشركين لم يعيبوا على رسول الله ﷺ أنه أراد أن يأخذ من أبي سفيان الزعامة أو من أبي لهب أو من خالد بن الوليد أو من الوليد بن المغيرة. ولم يُعرِّف المسلمون أنفسهم بأنهم ثوار أو أنهم يريدون أن يقيموادولة إسلامية وبنوا اقتصادا إسلاميا بل عرفوا أنفسهم بأنهم استقاموا على أمر معين في العقيدة وفي العبادة وفي المعاملة.. فتضايق المشركون وقاموا يؤذونهم ففر المسلمون إلى الحبشة فأرسلوا يتبعونهم لكي يردوهم.

وكما جاء في الأثر: ﴿لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها﴾. فنحن في حاجة اليوم إلى أن نحدد أين يوجد الخلل. لا لأننا نريد أن ننهض من جديد، ولا لأننا نريد أن نستولي على السلطة، ولكن لأننا نريد أن ننجو بأنفسنا وبجلودنا من النار. قال تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (آل عمران 185). هذه معاني عظيمة جدا، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. هذا هو الفوز الوحيد المعتبر الذي يجب أن يملأ عقولنا وأن يملأ قلوبنا. وشروط هذه النجاة وهذا الفوز هي، أولا: الاستقامة على دين الله، الاستقامةَ الحقَّ التي نراعي فيها الله سبحانه وتعالى في السر والعلانية: في علاقتنا به من حيث العقيدة وفي علاقتنا به من حيث العبادة وفي علاقتنا بخلقه كذلك. في علاقتنا في وظائفنا وفي أعمالنا أن نكون خالصين ومخلصين لله سبحانه وتعالى. هذه هي النقطة الأولى والنقطة الأساس.

ثانيا: الدعوة إلى الله، فهناك ثلاثة أسباب تدفعنا إلى القيام بالدعوة إلى الله:

- السبب الأول والأعلى: هو أن الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد كما قال ابن القيم رحمه الله، فالمسلم الذي هدفه مرضاة الله عز وجل يريد أن يكون في أفضل المقامات. وهذا المقام هو أفضل المقامات لأنه مقام الأنبياء والمرسلين. فما كلُّهم جاهد ولكن كلُّهم دعا، فدل هذا على أن الدعوة هي أعظم من الجهاد.

- السبب الثاني سبب طبيعي: وهو أنك لو رأيت طفلا يتوجه نحو نار،

لأسرعت لتنقذه منها. والناس اليوم أشبه ما يكونون بالأطفال. فهم لا يعرفون ولا يعلمون ولا يفقهون حتى وإن كانوا مسلمين إلا من رحم الله. والدليل على ذلك، حياتهم واشتغالهم بالتفاهات التي يحبها الأطفال من ألبسة وأطعمة وأشربة وأمكنة، وهذا هو ما يحبه الأطفال.

– السبب الثالث، قيام بالواجب: وهو أننا مأمورون بالدعوة إلى الله. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون﴾(التحريم6). فإن لم نقم بدعوة من نملك دعوته، سيمسك بتلابيبنا يوم القيامة. وقد ورد هذا في الحديث. فأنت إذا رأيت طفلا يتوجه نحو نار فمن الطبيعي أن تتوجه لتنقذه خصوصا إذا علمت أن القانون سيعاقبك على عدم إنقاذك إياه.

ثالثا: التربية أي تربية الناس على هذه الاستقامة.

رابعا: المدافعة أي مدافعة أهل الباطل لكي يبقى الإسلام مطبقا ﴿ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض﴾ (البقرة 249).

هذا هو الطريق! لا طريق إلا هذا الطريق. سواء لمن ينشد الاستقامة وصلاح الأحوال في الدنيا، أو النجاة في الآخرة.

فنحن كمسلمين يجب أن نتوخى هذه الأمور الأربعة في دعوتنا، ولا ينبغي أن نسكت فلا مكان للساكتين ولا مكان للمتخوفين بيننا. ولا داعي للعمل السري. فهذه بلادنا، بلاد الإسلام، ونحن أصحابها وعازمون على أن نبقى

أصحابها. لا يمكن أن يأخذها منا أحد. ولهذا لا نخاف، يجب أن نرفع صوتنا بالإسلام. فنحن لا نتآمر ولا نريد أن نقوم بانقلابات ولا نريد أن نُحدث الفتنة والشغب. ولكن قولة الحق يجب أن نقولها: نقولها أفرادا ونقولها جماعات وندعو إليها الأفراد والجماعات والهيئات السياسية والدولة... فهذا قول الله. ولو قُتلنا في سبيل الله لكان ذلك شيئا بسيطا فأملنا الوحيد أن يرضى عنا ربنا ويقبل منا. والرسول ﷺ يقول: ﴿سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره فنهاه فقتله﴾. إذا أوذينا لأننا دعونا قومنا إلى الحق وإلى الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى تطبيق الشريعة الإسلامية، فهذا سيكون بالنسبة لنا ابتلاءً صحيحا من جنس ما ابتلي به الأنبياء والمرسلون والصحابة رضوان الله عليهم. وهذا الابتلاء يعقبه النصر، النصر للمبدأ والهدف وليس النصر للجماعة. وليس أن نبتلى لأننا تنظيم سري انقلابي يروج مسدسا أو مجموعة من المسدسات أو يروم الصراع على السلطة.

حول الخلافة الراشدة:

إذا كنا نحلم بالخلافة الراشدة، وهذا أمر مشروع، وكلنا نسعى إليه، وهو واجب علينا كمسلمين، فلابد أن تكون شروط هذه الخلافة متوفرة. لقد كانت الخلافة الراشدة قائمة على أشخاص راشدين، هم صحابة رسول الله ﷺ. فعندما سُئل علي بن أبي طالب عن الفتن التي وقعت في عهده ولم تكن في عهد أبي بكر وعمر، رغم أنه كان أكثر الخلفاء قياما على الجادة، قال: «لأنهم كانوا يَحكمون أمثالي، وأنا أحكم أمثالكم». فقد وقعت للناس رِقّة في الدين، لدرجة لم تعد تكبر رغبتهم كي يحكمَهم رجل مثل علي. ولهذا لما مات عمر

كان الخيار بين عثمان وعلي، فاختار الناس عثمان. ولم يَختاروا سيدنا علي إلا بعد أن مات عثمان. بحيث لم يبق من الممكن أن يختار الناس غيره.

إن العلماء يحصرون الخلافة الراشدة في الخلفاء الأربعة، ومنهم من يُضيف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. فمعاوية ﷺ ينفون عنه الخلافة الراشدة، مع أنه صحابي جليل، وكان يكتب القرآن لرسول الله ﷺ، وكان واليا على جزء من الشام في عهد أبي بكر وعمر، قبل أن يصبح واليا على الشام كله في عهد عثمان ﷺ. فإذا كانت الخلافة الراشدة قد توقفت عند هؤلاء، فالأمر إذا ليس سهلا كما يتصور البعض.

وبعد وفاة علي، انتقل المسلمون من الخلافة الراشدة إلى مُلك يوصف بأنه ملك عاض، ليس فقط على مستوى الحكام، بل على مستوى الأمة كلها. فقد سُئل الحسن البصري رحمه الله عن الصحابة رضوان الله عليهم، فقال: «لو أيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا هؤلاء قوم لا خلاق لهم». هذا الأثر: ﴿كما تكونوا يولى عليكم﴾، يجلي هذا الأمر.

الخلافة الراشدة تحتاج إلى الراشدين. لقد وصل الإسلاميون إلى السلطة في بعض الدول، ولكن الشعوب التي يريدون حكمها لم تكن شعوبا راشدة. بل نساءل: هل أبناء الحركة الإسلامية مؤهلون للخلافة الراشدة؟ لا شك أن فيهم خيرا كثيرا ولكنهم في العموم دون مستوى الخلافة الراشدة. فأنا لا نحلم بالخلافة الراشدة. على الأقل في الزمن المنظور. كل ما أرجوه به هو أن يصبح حالنا أحسن مما نحن عليه. وهذا لا يمكن أن يقع إلا إذا حاولت الحركة الإسلامية أن تصبح حركة إسلامية راشدة.

الفصل الثالث:

الحركة الإسلامية وإشكالية الخطاب

النشأة والتطور:

كان الاصطدام مع الغرب من خلال الحملات الاستعمارية الغربية على البلاد الإسلامية، حيث أصبح الاستعمار جاثما على الشعوب الإسلامية، وفي نفس الوقت ممسكا بزمام الحضارة والتقدم في حين كنا نحن نتراجع ونتخلف.

هذه الحالة خلفت عند المسلمين إشكاليتين:

ـ الإشكالية الأولى: هي كيف السبيل إلى التخلص من هذا الاستعمار ثم النهوض بالأمة.

ـ الإشكالية الثانية: هي كيف السبيل إلى إرجاع هذه الأمة إلى تدينها.

من أجل هذا قامت حركات هنا وهناك تبتغي إخراج المسلمين من تخلفهم وفي نفس الوقت تبتغي إرجاعهم إلى تدينهم.

وكان من دعاة وزعماء هذا التوجه جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ محمد عبده والشيخ أبو الأعلى المودودي والشيخ حسن البنا، كل منهم ساهم في مجال وكانت لديه أفكار وفجر طاقات. لكن الشيخ حسن البنا والشيخ أبو الأعلى المودودي كانت لديهما إضافة نوعية هي أنهما لم يقتصرا على دعوة الأمة ككل لأفكارهما، بل عمدا إلى تأسيس جماعات تقوم على ما يؤمنان به. فظهرت حركة يقظة في الأمة تدعو إلى التدين وأخرى تدعو إلى النهوض من التخلف وفي نفس الوقت بدأت تبرز بوادر انطلاقة حركة إسلامية قررت أن تلتزم بما تدعو إليه وتكون نموذجا حيا لذلك.

فليس مجانبا للصواب في شيء القول بأن أغلب الحركات الإسلامية المعاصرة المنتشرة في عموم العالم الإسلامي اليوم تأثرت بجماعة "الإخوان

المسلمين" الشهيرة، والتي نشأت في مصر خلال العشرينات من هذا القرن على يد المجاهد الشهير حسن البنا رحمه الله.

نعم نعلم أن هناك جماعات قد تكون سبقت هذه الجماعة، كالجماعة الإسلامية في باكستان أو غيرها ممن كان نتاج مبادرات شخصية لم يكن لها تأثر مباشر بجماعة "الإخوان المسلمين" ولكن الظاهرة ككل سوف يكون من الإنصاف أن نردها، لفهمها واستيعابها، إلى هذه الجماعة وإلى بداية العشرينات من هذا القرن.

عاشت الحركة الإسلامية مرحلتين كبيرتين:

المرحلة الأولى، دامت من الثلاثينات إلى حدود الستينات: كانت مرحلة انتشار باهر في المشرق والدول المحيطة بمصر وفي هذه المرحلة كانت الحرب ضد المسلمين من لدن الغرب المستعمر وكان المسلمون متفقين على هدف واحد: فالذين يريدون النهضة والذين يريدون الإسلام أو الذين يريدونهما معا كلهم كانوا متفقين على حرب الكفار وعلى حرب المستعمرين فلم يكن من الممكن تمحيص خط النهضة من خط التدين حيث كانا منسجمين.

المرحلة الثانية: بعد انتصار الشعوب والوصول إلى مرحلة الاستقلال كان لابد أن يظهر أي التيارين سيصبح هو الأصل وأي التيارين سيصبح هو التابع. ومنذ الستينات إلى السبعينات خفت في الأمة الإسلامية -تقريبا- صوت دعاة الإسلام وما بقيت إلا أصوات محدودة. وفي هذه المرحلة ضُربت الحركة الإسلامية في مصر وفي بعض الدول. كما هُمشت في البعض الآخر. وبقي الصراع بين التيار الليبرالي والتيار اليساري محتدما حول قيادة التحرر

والنهضة، كما احتكر هذان التياران آنذاك الساحة السياسية والفكرية العربية والإسلامية. وكان الفكر النهضوي هو المهيمن وهو صاحب اليد العليا فظهرت الأحزاب التقدمية، حتى حزب الاستقلال في المغرب الذي قام على أساس إسلامي انفصل عنه أصحاب الفكرة "التقدمية" والتحق بهم أيضا بعض المتدينين من داخل الحزب فأصبح الأمر اليومي هو كيف نحقق النهضة؟ كيف نحقق التقدم؟كيف نلحق بمصاف الدول العظمى؟ فغلب تيار النهضة ولم تعد الفكرة الإسلامية هي الهم الأصلي.

بعد هزيمة 67 تبينت عدة أشياء: أن هذه النخب اليسارية والقومية والليبرالية التي هيمنت على الحياة السياسية والفكرية والاقتصادية في المجتمع العربي والإسلامي لم تعد تستطيع أن تحفظ لنا ثغورنا، فضاعت منا سيناء والقدس والجولان، ولم تستطع أن تحفظ لنا كرامتنا، فلم تحقق النهضة والتحرر (تحرير فلسطين والانعتاق من التبعية) المأمولين، وشعرت الشعوب العربية والإسلامية آنذاك أن كرامتها قد حُطمت مع هزيمة 1967، وأن كل ما تحقق في المراحل السابقة كان هشا ولم يكن أساسا متينا يمكن أن تقوم عليه نهضة حقيقية. وكان من إفرازات أو نتائج هذه المرحلة أن عادت المشروعية إلى التيار الذي كان قد برز في الأربعينات والخمسينات، وترجم ذلك بمد إسلامي وصحوة دينية واسعة في العالم الإسلامي كله، شكلت الأمل بعد فشل لمشروعات الأخرى.

لقد كانت الصحوة الدينية ذات بُعد عالمي مسّ البشرية بكاملها، لكنها كانت في الجانب الإسلامي قوية. أما بالنسبة للبشرية ككل، فإن التيار المادي

في تلك المرحلة كان قد بلغ مداه، حيث بدأت القدرة على الإنتاج والاستهلاك في التراجع نسبيا في العالم بصفة عامة. ولقد كان هناك شعور بأن نفسية وعقلية وحضارة الاستهلاك يمكن أن تحل بعض المشاكل المادية للمجتمع، ولكن لا تستطيع أن تحل كل مشاكل الإنسان. فبدأ نتيجة لذلك هذا الرجوع إلى التدين، الذي لم يشمل المسلمين وحدهم.

فعرفت الحركة الإسلامية نهضة جديدة وانتشرت في العالم، وهذه المرة وصلت إلى المغرب والجزائر وتونس لأن التحديات التي لم تكن تواجه الإسلام في الخمسينات وبداية الستينات في المغرب أصبحت موجودة في هذه الفترة، فبدأت فئة علمانية تنادي بأشياء مخالفة للإسلام.

هذه الحركة وقعت في نفس الإشكال، فكانت هناك رغبة في العودة إلى التدين وفي نفس الوقت محاولة للنهوض بالأمة، ولكن التغير الذي طرأ في هذه المرحلة الثانية هو التحول من التصدي للاستعمار إلى الوقوف في وجه الحكام، باعتبار أن الحكام هم سبب هزيمتنا وهم سبب بعدنا عن الإسلام. فبدأ الخطاب على هذا الأساس وانحشرت فيه الحركة الإسلامية لمدة ربع قرن وعاشت في هذه المدة عدة مآس ومحن كانت تفسرها على أنها ابتلاء من الله، وهذا صحيح، ولكن الابتلاء ليس سببه الواحد هو أن يكون الإنسان على الحق فيبتليه الله عز وجل ليمحصه، بل الابتلاء له عدة أسباب. فالإنسان قد يُبتلى نتيجة خطئه كما يبتلى بسبب المعصية والذنوب ويبتلى كذلك لكونه على الطريق الصحيح بالسجن أو بالموت أو بنقص في الأموال والأولاد.

فبدأت ترتفع عدة أصوات لتتساءل ألا يمكن أن نكون نحن كذلك مخطئين

في مسارنا؟ ألا يمكن أن يكون ما يقع لنا -أو جزء منه على الأقل- نتيجة خطئنا في فهم واقع أمتنا وفي محاولة إصلاحه وأن الإشكال ليس في الحكام فقط؟

فطُرح هذا السؤال وحاول الإجابة عنه الكثير من المهتمين ومنهم الدكتور سعيد رمضان البوطي والدكتور خالص جلبي ووحيد الدين خان.

إن الإنسان تختلط في نفسه الرغبة في إرضاء الله والفوز بالجنة والنجاة من النار وإقامة الدين في حياته وإقامته في مجتمعه من جهة، والنهوض بالمجتمع من جهة أخرى. وهذان الأمران مرتبطان ومتداخلان بحيث لا يدري بالضبط أيهما يحكم الآخر. لأن الذي يحكم من هذين الداعيين والسببين هو الذي سيفرض قوانينه. وقد كانت فكرة النهوض والتقدم المبنية على محاربة الحكام الموجودين هي التي تفرض قوانينها. وهذا ما وقعت فيه الحركة الإسلامية في كل من مصر و تونس والجزائر وأدى إلى ما أدى إليه من الكوارث.

ومن الأمور التي أثارت انتباهي أنه كانت هنالك مجموعة من الشباب من أكثر الناس حماسا للإسلام التزاما ونضالا وجهادا، فاعتُقلوا بسبب توزيع المناشير، ولما أُفرج عنهم لم يبق منهم أحد داخل الحركة الإسلامية، ومنهم من انحرف عن الدين. فتساءلت: إذا كان هؤلاء الشباب قد تركوا الحركة الإسلامية لخوفهم فهذا مفهوم، لكن أن يتركوا التدين فلا شك أن هنالك سببا عميقا. فأدركت أن خطابنا هو بالدرجة الأولى خطاب سياسي إسلامي رافض، وليس خطابا إسلاميا، رافضا أو غير رافض، سياسيا أو غير سياسي.

فهنالك خلل في فهم ما معنى العمل الإسلامي وما معنى العمل السياسي

ومكانة كل واحد منهما وتأثيره على الآخر.

كثير من الحركات الإسلامية في العالم هي حركات سياسية نشأت لأسباب سياسية واجتماعية وتعاطت مع الواقع على هذا الأساس، ولكن كون الإسلام ليس مجرد فكرة بل هو عقيدة أضفى على هذا العمل السياسي شكلا دينيا، ونشأ تناقض بين مقتضى الدين ومقتضى السياسة في نفوس حاملي هذه الفكرة، وشط الأمر في بعض الأحيان، فأفسدت السياسة شؤون الدعوة، وفي بعض الأحيان أربكت مفاهيمُ الدعوة تصرفات السياسة.

إن الأساس الذي دفع إلى تأسيس جماعة "الإخوان المسلمين" -كما هو مبين في أدبياتها- هو تلك الواقعة التاريخية ذات المدلول السياسي، المتمثلة في سقوط الخلافة العثمانية في تركيا سنة 1923... هذه الواقعة التي لا يُركّز عليها -مع الأسف- بما فيه الكفاية، والتي تُعتبر كارثة في حياة الإسلام والمسلمين، دفعت بالمسلمين هنا وهناك إلى التفكير في إعادة بناء وبعث هذه الخلافة الإسلامية التي هوت. وكان من الأشخاص النبيهين الذين نذروا أنفسهم لهذه المسؤولية الجسيمة الشيخ حسن البنا رحمه الله والذي أنشأ جماعته المشهورة التي كانت الأصل المباشر وغير المباشر للظاهرة الإسلامية اليوم. كذلك الجماعة الإسلامية في باكستان، فقد كانت نفس التصورات ونفس الأفكار سبب منشئها، وجعلت بشكل أو بآخر الأوضاع ترتبك اليوم رغم أن هذه الجماعة موجودة ولها وزن كبير في البلد ولكن الأمور ما زالت مرتبكة في هذه الصيغة: ما هو ديني وما هو سياسي، وهل ما هو سياسي ديني، وهل ما هو ديني سياسي، وأين موقع كل واحد منهما، أيهما الأصل وأيهما الفرع وهل

الأساس في سقوط الخلافة هو ضعف المسلمين أم الأساس هو مؤامرات الأعداء، وهل يتصور إعادة الخلافة دون إصلاح أحوال المسلمين؟.

وبذلك تكون الظاهرة قد نشأت انطلاقا من حدث ديني له تجل سياسي، ألا وهو سقوط الخلافة العثمانية.

بداية الحلم

ومن هنا، فقد كانت المرحلة الأولى من نشأة الحركة الإسلامية قائمة على أساس زرع هذا الحلم في المجتمع الإسلامي، الذي بإنجازه وتحقيقه سوف يرد لنا حلقة من حلقات ديننا، وهي الخلافة. كما سوف نتمكن من تطبيق مقتضيات ديننا المتمثلة في العيش وفق أسلوب الإسلام الذي يريده الله ﷻ.

وكان من أمر الحركة الإسلامية في هذه المرحلة وما تلاها (من العشرينات إلى الأربعينات تقريبا) أن عاشت في رحم المجتمع العربي بالخصوص، والإسلامي عامة بدون إشكال تقريبا وبدون اصطدامات. لكن لما بلغت الحركة حجما معينا، كان من الضروري أن يكون لعملها تفاعل مباشر في الجانب السياسي، الأمر الذي طرح إشكالات عديدة كان من أبرزها التساؤل حول طريقة تعامل هذه الحركة الإسلامية مع مجتمع إسلامي جديد، كان يصبو في تلك الفترة من الأربعينات والخمسينات إلى شيء اسمه التقدم والتحرر واللحاق بركب الحضارة الغربية والنهضة حسب التعبير الذي كان متداولا: هل سيكون هذا التعامل وهذا التفاعل من جنس التعاون مع مختلف الأطراف القائمة بغرض العمل المشترك؟ أم أن مشروع الحركة الإسلامية سوف يولد منه مجتمع جديد بمواصفات جديدة تنسجم إلى حد ما مع تصورات إسلامية

توجد في أذهان أشخاص بعينهم؟

والحقيقة أن الاختيار الذي وقع في الحركة الإسلامية بصفة عامة -في تلك الفترة- هو اختيار قوامه أن كل هذا الذي يجري في الساحة السياسية ليس شيئا إسلاميا، وأن المطلوب فقط مرحلة تتمكن فيها الحركة الإسلامية من بناء نفسها لتكون قادرة على إعطاء نموذج مجتمعي جديد.

وهذه الرؤية إقصائية، لأنها تقوم على اعتقاد مفاده أنه من الممكن إعادة بناء المجتمع الإسلامي كما بني أول مرة، يوم خرج الأنصار يستقبلون رسول الله ﷺ وهم ينشدون « طلع البدر علينا » ليشرق فجر جديد على الأمة الإسلامية وعلى البشرية، ويطبق الإسلام بالطُهر الذي كان عليه في أول يوم في المجتمع العربي الإسلامي.

غير أن هذا الاختيار/الرؤية أو الحلم اصطدم فيما نرى بأمرين اثنين:

الأمر الأول، هو أن هذه الشعوب شعوب مسلمة، ولهذا فإن محاولة دعوتها إلى الإسلام من جديد هو تناقض خطير تترتب عنه عدة أحكام، ويترتب عنه واقع وأوضاع. وهكذا وُجدت حركات إسلامية اعتبرت المجتمع كافرا يجب أن يدخل في الإسلام من جديد. كما أن منهم من أبطل عقود الزواج الموجودة، الأمر الذي أدخل هذه الفئات في متاهات خطيرة.

المسألة الثانية، تمثلت في أن هذه الحركات الإسلامية اصطدمت بواقع سياسي فيه أطراف أخرى لها اعتبار ووزن حقيقي، سواء أكان السبب تمسك الناس بها أم كان السبب ظروفا قاهرة. ومن بين هذه الأطراف على سبيل المثال: الجيوش الموجودة على طول الرقعة العربية والإسلامية. فهي جيوش

فيها التدين، ولكن الذي لا شك فيه أنها لا تفهم الإسلام كما يفهمه الإسلاميون، فهي نشأت في إطار المدرسة العسكرية الغربية ببنيتها الثقافية. هذا ولا يخفى أن الجيش هو القوة المنظمة الأولى التي استطاعت في النهاية الوقوف في وجه الحركة الإسلامية.

ومن بين هذه الأطراف أيضا رجال المال والأعمال المندمجون في إطار البنية الاقتصادية العامة للمجتمع، التي قامت على الارتباط بأساليب إنتاج وتسيير غير إسلامية كظاهرة الربا التي تبدو في هذه المرحلة كما لو كان لا مفر منها، وهي مرتبطة بعالَم الاقتصاد الحالي الذي هو عالَم متغرب بشكل كبير ثقافيا وكما هو معروف فإن هذه الفئة –من المشتغلين بالاقتصاد من رجال المال والأعمال– لها وزن في السياسة وفي تسيير دواليب المجتمع وضبط اختياراته.

وفي هذا الصدد، فإنني أذكر مثالا من وحي تجربة الثورة الإسلامية في إيران تَمثل في أنها شهدت ما بعد الثورة مباشرة فرارا وهروبا لرؤوس الأموال والأغنياء، الأمر الذي دفع الدولة فيما بعد، ونظرا لحاجتها ولحاجة المجتمع لهم، أن دعتهم إلى الرجوع واعدة إياهم بإعطائهم التسهيلات التي يريدون.

كما أن من بين هذه الأطراف أيضا النخبة المثقفة –التي هي في الوقت نفسه المكون الرئيس للنخبة السياسية– والتي تكونت وتربت في إطار التأثر بالغرب فلسفة وحضارة ولغة، مما جعلها في خانة المتحفظين على مشروع الحركة الإسلامية إن لم نقل المعادين لها.

كذلك، فإن أحلام المشروع الإسلامي الصافي أو البديل قد اصطدمت بواقع مغاير تعيشه الشعوب العربية والإسلامية. فهذه الأخيرة رغم أنها –

والحمد لله- مسلمة ومتدينة، إلا أنها شعوب تعيش زمانها، فهي لها مشاكل حادة، كما أن نمط المعيشة العصري أفرز مشاكل لم تكن موجودة في المجتمع الإسلامي الأول، من مثل مشكل السكن أو مشكل الشغل (أي البطالة)، فالبطالة أمر لم تعرفه الأمة من قبل، وهو شيء جديد بحيث أن كل من كان يريد العمل يجده.

كما أن هناك إشكالات كبرى أصبح المجتمع يعيشها، كأزمة التعليم المتمثلة في الأسئلة التالية: أي تعليم نعطي وبأية طرق؟..إلخ. وهكذا، فالمواطن رغم أنه متدين فإنه يعاني من مشكلات مادية ضخمة من الطبيعي جدا أن تؤثر على اتجاهاته ومواقفه. لكن هذا المواطن عندما يمنح ثقته للحركة الإسلامية فلأنه يتصور أن هذه الحركة قادرة على أن تحل هذه المشاكل. والحقيقة أنه إذا كان بإمكان الحركة أن تُدخل نوعا من الاستقامة في الحياة العامة، فإن هامش تأثيرها وفعلها محدود، للاعتبارات والأسباب المذكورة فيما سبق، وهو أمر لا يقدره الإسلاميون التقدير الكافي.

فكل هذه المعطيات جعلت المشروع البديل الذي تبنته من مجموعات إسلامية شيئا صعب التطبيق وتقف في وجهه عوائق كبيرة.

وهكذا، فإن الحركة الإسلامية لم يقع لها ما وقع للشيوعيين فقط من شعور بأنهم هم الوحيدون على الحق، بل لقد ذهبت بعيدا حيث تصورت إمكانية إعادة كتابة وبناء التاريخ برمته، وهذا أمر بطبيعة الحال يُدخل الإنسان في متاهة، لأنه شيء مستحيل.

ولهذا، فإنه لا يمكن أن ندعو المسلمين إلى الإسلام، بل إنه يمكننا فقط أن

ندعوهم إلى الاستقامة على الدين وإلى التوبة إلى الله وإلى تغيير أشياء كثيرة في حياتهم.

وإن من شأن هذا الإقصاء المنبني على شعور الإنسان بأن ما عنده خير مما عند الناس جميعا، أن يجعل دعاته يحاولون القفز على المراحل، لكي يأتي يوم يكون فيه كل شيء مصبوغا بصبغتهم، وهذا شيء غير معقول.

سقوط الحلم

ولأجل ذلك، كان من الطبيعي جدا أن وقوع مثل هذا الحلم وسقوطه كان بطرق وأساليب مؤلمة. فوقع تصادم الإسلاميين الشهير مع عبد الناصر، رغم مسؤولية هذا الأخير الكبيرة فيما حدث، ثم جرائم التعذيب التي نفذها في حق الإخوان... هذه الصدامات التي حدثت تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الشعوب التي تعاملت معها الحركات الإسلامية ليست ذلك المواطن العادي الذي تراهن على صوته فقط، ولكنها الشعوب التي فيها هذه النخب، وتلك الجيوش، والتنظيمات الاقتصادية، وكذلك المواطنون العاديون والعلماء وغيرهم.

ولقد كشفت تلك الصدامات عن موقف تلك الشعوب من الحركات الإسلامية صاحبة ذلك المشروع التغييري بالكامل، حيث تعاملت (أي الشعوب) معها على أنها مشروع يريد أن ينقل المجتمع إلى المجهول، حيث كان رفضها مترجما في حيادها خوفا أو طمعا أو اقتداءا أثناء تلك الاصطدامات التي وقعت في شكل صراع على السلطة. المهم في كل ذلك أنه وقعت اصطدامات، والتي كان من شأنها أن أدخلت الحركة الإسلامية في متاهات،

كما وقع في مصر مع مطلع الخمسينات وبداية الستينات.

بين الإقصاء والمشاركة:

أعود لأتحدث بشكل أكثر تحديدا عن مفهوم ومضمون هذا الإقصاء الذي وسم المشروع الإسلامي لمدة غير يسيرة من الزمن، كما لايزال في سلوكات ومشروعات البعض، وحول ما إذا كان يعني إقصاء القوى المجتمعية الأخرى أو إقصاء أي دور للمجتمع وللسلطة في الإصلاح وفي التغيير.

إنني أعتقد أن الإقصاء كان عاما يشمل كل هذه الاعتبارات وكل هذه الجهات. وهذا الإقصاء في نظري ينطلق من الذات بمعنى أن ذاتك خير من ذوات الآخرين وبمقابل ذلك الإقصاء توجد فكرة المشاركة. وتنطلق هذه الفكرة من أنه إذا كان الهدف هو خدمة الإسلام ورفع شأنه، فإن التعاون مع من انطلق سواء من أصل الإسلام أو من نتائج الإسلام أمر مقبول. ولا يُرفض في هذا الإطار إلا الشر المحض والذي لا سبيل للقبول به.

إن القبول بفكرة التعاون والتشارك يرفع من الفكرة ويحد من حجم الشخص أو الطرف. وما وقعت فيه كثير من الجماعات والحركات الإسلامية أنها أدخلت الذات في الموضوع، فعميت عن الحق. لأن الذات شيء والموضوع شيء آخر، فالموضوع (الإسلام) منزه ومقدس. وأما الذات، فهي محاولة قد تسقط في أول امتحان وقد تنجح، كما قد تكون ناضجة أو غير ناضجة، إلى غير ذلك.

وأعتقد في هذا الإطار أن روح الإقصاء لا تزال تسكن لدى كثير من أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة. ولعل من أعظم نتائجها السلبية أن الإنسان لا

يرى مشروعه إلا بشكل كامل يتعذر تصوره في الظروف الحالية، فيدفعه ذلك إلى نوع من الانزواء، فيحرم من تحقيق الممكن انتظاراً للأفضل المتعذر. وبهذه الطريقة توشك الحركة الإسلامية أن تتحول إلى أداة لتجميد أعضائها في المجتمع، وحرمان المجتمع من خيرهم ومما يسر الله لهم من إمكانيات.

وفيما يخص العمل السياسي، فإنني أتصور أنه ليس فرصة يتم تحيُّنها لإقامة أحلام غير قابلة للتطبيق، بل هو مجال يساهم الواقع الاجتماعي بمعطياته وقواه المختلفة في صياغته. والحركة الإسلامية أو الجماعات العاملة في إطارها جزء من ذلك، وليست مؤهلة، وليس بمقدورها أن تتحمل ذلك بمفردها.

إن الحركة الإسلامية أكرمها الله سبحانه وتعالى بالانتباه إلى البعد الديني في حياة الناس الفردية والاجتماعية والسياسية، وسيكون دورها الأكبر -في نظري- هو تعزيز هذا البعد في الواقع السياسي تدريجيا حتى يكون له دور وتأثير أكبر. وهذا أمر مهم وحيوي، لذا أعتقد أن الحركة الإسلامية بخروجها من السرية والخفاء والظلام إلى الواقع، مع ما يقتضيه ذلك من تنازل وتواضع وقبول بالأطراف الأخرى، بإمكانها القيام بذلك، خاصة وأنها عندما تصبح موجودة في الحياة السياسية كشخص معنوي وكقوة مهما كان حجمها سيكون لها تأثير معنوي وتربوي في الواقع السياسي، كما أن أطروحاتها وأفكارها سوف يكون لها مجال في الواقع السياسي في الوقت نفسه.

كذلك إن الحركة الإسلامية كتجمع بشري تتوفر على كفاءات يمكن أن تساهم بها لا في تغيير المنكر كله، ولكن على الأقل في نقل الواقع من منكر إلى منكر أقل منه. كما أن أبناءها قد يتوفر فيهم نوع من الأمانة ومن الجدية غير

موجودين دائما في التجمعات الأخرى، بحيث لو اشتركت مثل هذه الكفاءات والطاقات في بناء الدولة العام لحلت كثيرا من المشاكل أو خففت على الأقل من حدتها.

دور ومسؤولية الطليعة الإسلامية

إن الطليعة الإسلامية تتحمل مسؤولية خاصة تجاه المجتمع، إذ بمدى رشدها يتأثر مسار الدعوة في بلدانها وكذا عطائها في مختلف الميادين المرجو فيها عطاؤها.

وإذا أردنا أن نرتب وجوه هذه المسؤولية حسب أهميتها سنبدأ بالواجب الأول الأساسي الذي لا يمكن لأي إنجاز أن يتم بدونه وهو الاستقامة على الدين.

ولعل المتابع يقول هذا من الأبجديات. والحقيقة أنني أرى أن الأمر ليس كذلك، بل إن هذا الأمر بالذات يحتاج باستمرار إلى مراجعة حقيقية ووقفة تأمل متأنية، إذ ليس الأمر كما نتصور، بل هو أعقد من ذلك بكثير. فمجمل الحركات والجماعات الإسلامية -كما أسلفنا الذكر- قامت على الفكرة المؤسسة التي مفادها وجوب إقامة الخلافة الراشدة وإعادة توحيد الأمة وتجديد حضارتها وما إلى ذلك من المصطلحات التي تصرف فكر الإنسان وعقله إلى الأشكال الجماعية للالتزام الإسلامي مما يمكن أن ينحصر في النهاية في السعي نحو الحكم لأسلمته والعمل بوسائله في تحقيق هذه الأهداف ونتيجة لذلك كان المنطلق سياسيا على أساس أن ما قبله مفروغ منه، والأمر ليس كذلك.

وقد انتمى للحركة الإسلامية جموع على أساس هذا الهدف وانبنت

استقامتهم على أساس أنها من مقتضيات هذا الطريق ومستلزماته، ويختلط الأمر على المرء بعد ذلك اختلاطا محبطا: بين ما يقصد به وجه الله فعلا، وما يعمله لكي يكون أهلا للانتظام في الصف. ويحدث بعد ذلك للمرء والجماعة ارتباك شديد. لأن الإسلام كدين، حسب تقديري، له منهج خاص به، والحكم كهدف، له منهج مغاير خاص به كذلك. وكثيرا ما يربك الثاني الأول. وأصعب ما ينتج عن هذا الاختلاط أن الشباب المنتمي للحركة الإسلامية يتصرف في كثير من الأحيان تصرفات لا تصدر حتى من عامة المسلمين مما يُربك مسار الدعوة ويُضعف الثقة فيها كما أن الحركات تتيه غالبا في دروب طلب السلطان وهي تعتقد أنها تُبتلى ابتلاء الأنبياء الربانيين وكأنهم لا يقرؤون قول الله تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ (البروج 8).

إن أول نقطة في الاستقامة على الدين وأهمها على الإطلاق إخلاص النية لله. ولذلك وجب على المسلمين جميعا والنخبة خصوصا التعامل مع الدين على الأساس التالي:

– الإسلام رسالة من الله إلى الناس، واجبهم أن يعلموها ويعملوا بها ويدعوا إليها دون أن يشوش على هذا الهدف شيء آخر. وحينئذ ستأخذ كل عروة من عرى الدين مكانها وسيتعامل الفرد مع الدين على أنه مجموعة من الواجبات هو مكلف بالقيام بها رجاء الأجر من الله تعالى وخوف العذاب عنده. وسيأخذ مشروع إقامة الخلافة الإسلامية مكانه ويَخضع حسب العلم

بالشرع والاجتهاد بالرأي لتقدير معين يُقدم في مكان ويؤخر في مكان ويُبعد في مكان آخر حسب ظروف الإسلام والمسلمين. أما حين يكون هو المنطلق والهدف، فإنه يُفسد على المرء والجماعات أمرهم فيوشكون أن يُضيعوا دينهم ويوشكون أن يضيعوا أخراهم وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا.

يقول الدكتور طه جابر العلواني:« إن الواقع التاريخي قد رسَّخ في أذهان الناس الوسائل التي اتُبعت في عمليات الانتشار الإسلامي الأولى أي الفتح، واستقر في الأذهان أن على الأمة المسلمة أن تقيم دولة كدولة المدينة لتتولى مهام دولة المدينة في العالم المعاصر. كما استقر في الأذهان أن المسلمين في حاجة إلى التعبئة الدائمة المستمرة لتحقيق هذا الحلم: بناء دولة التمكين والمنطلق. وقد بقي الخطاب الإسلامي المعاصر حبيس هذه الأمنية محاطا بتأثيرات التصورات المختلفة لما يعتبر من عوامل أو أسباب أو وسائل تحقيقها، وبقيت العقول المسلمة والأنظار معلقة بالواقع التاريخي فقط (غير ملتفتة إلى الواقع المعاصر أو المستقبل) باحثة عن وسائل تحقيق ما اعتبرته أم الأماني "بناء الدولة والوصول إلى الحكم" فلم يزدها ذلك إلا بعدا عن تحقيق أهدافها »[3].

وفي هذا الإطار أحب أن أوضح أنني لا أعيب على الحركات الإسلامية اشتغالها بالسياسة أو مقاومة الحكام الظلمة ومحاولة استخلاص الحكم منهم، إذا رجح ذلك كالإعلان بالكفر البواح الذي لنا فيه من الله برهان أو رجحان مصلحة استخلاص الحكم من المغتصبين على مفسدة ناتجة عنه. فمن أجل

[3] المستقلة العدد العاشر صفحة 11.

ذلك ناصرتُ الإمام الخميني ضد الشاه الذي أراد إنكار إسلامية إيران وحاول ربطها بالكياسرة، ومن أجل ذلك ناصرتُ المجاهدين في كابول الذين قاموا لحماية دينهم وأعراضهم وأموالهم، ومن أجل ذلك ناصرتُ إخواننا في السودان الذين هبوا لإنقاذ بلدهم من الفوضى والجوع والخوف والعدو الانفصالي الغاشم، ومن أجل ذلك ناصرتُ الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي أرادت عبر انتخابات مشروعة استرجاع المبادرة من نخبة متغربة مستغلة علمانية طاغية.

ونحن في المغرب كان خطابنا واضحا، وكان مبنيا على أن الحكام لا يحكمون بالإسلام، فمن واجبنا أن نزيحهم ونقيم الإسلام. وفي المرحلة التي كنا فيها داخل السجن أصبحنا نتساءل عن مدى صوابية طريقنا. فكانت المراجعة.

الفصل الرابع:

الحركة الإسلامية: خلاصة تجربة

عرفت الحركة الإسلامية نشأتها في المغرب مع نهاية الستينات وبداية السبعينات. ورغم أن هناك روادا وعلماء سبقوا هذه الفترة كالفقيه الحمداوي (ذكره الله بخير)، الذي كان من جيل الخمسينات، فإن الحركة عرفت تبلورها وظهورها مع جمعية الشبيبة الإسلامية التي كان يتزعمها عبد الكريم مطيع.

ولم تكن لهذه الحركة صلة مباشرة بتراث الحركة السلفية التي شهدها المغرب في أواسط هذا القرن، وكان من روادها علال الفاسي ومن سبقه كالشيخ أبي شعيب الدكالي والشيخ محمد بن العربي العلوي وغيرهم رحمهم الله، بل تعاملت مع تراث مدرسة الإخوان المسلمين بعد انبعاثها بعد هزيمة 1967 وكذا مؤلفات أبو الأعلى المودودي رحمه الله.

هذا، ولقد تأرجحت الحركة الإسلامية المغربية بين كونها حركة سياسية، وكونها حركة دينية، والتداخل بينهما. وواجهت تبعا لذلك دائما أسئلة عديدة، مثل: كيف يكون هذا التداخل؟. والأولوية لأي منهما؟. وما هي النسبة؟.

قل هو من عند أنفسكم:

كان المنطلق سياسيا ودينيا في نفس الوقت، فكنا نعزو ما تعيشه الأمة من ارتباك إلى عدم الالتزام بالإسلام وعدم الحكم بما أنزل الله، وهذا تحليل صحيح. لكن ما نتج عنه من ترجيح، وهو العمل لإسقاط الحكام والنظام السياسي القائم وأخذ المبادرة من بعده، كان رأيا سطحيا وغير سليم.

إن عموم الناس –والشباب بالخصوص– يتجاوبون كثيرا مع الآراء المثيرة

ولا ينفذون إلى العمق. أما أهل الفكر فيصبحون بين أمرين: إما أن يبقوا في إطار هذا التحليل السطحي، لكي تبقى لهم مكانة عند الجمهور، ثم يمارسوا هم ما يتصورونه تعقلا، أو معقولا راجحا وطبيعيا. فيقع بذلك تناقض بين ما يعاملون به الجمهور وبين ما يتصرفون به. وإما يتعقلون مرة واحدة فتُفقَد شعبيتهم. لأنهم إذا انطلقوا من أن سبب فساد أحوال الأمة يرجع إلى عدم تطبيق الإسلام من طرف الحكام والمحكومين معا، فسيضطرون لانتقاد المحكومين، مما سيجعلهم ينفضون عنهم، وإذا انفض المحكومون عنهم فإن دائرة تأثيرهم تتقلص وتتلاشى.

وهذا هو مشكل الأمة الإسلامية بل ودول العالم الثالث. إذ نجد الشعوب تميل نحو المثال "L'idéal" ولا تقبل إلا هذا الكلام بشكل أو بآخر وتتجاوب معه، ولكنها لا تتحمل مقتضياته انطلاقا من نفسها وفي أصغر شؤونها. فللكل يحتج على طغيان الحكام، ولكنك تجد الواحد منهم في بيته طاغية متجبرا ظالما ظلوما، ولكنه ليس مستعدا أن يراجع ما هو عليه. وهو لا ينتبه إلى أن الظلم في المجتمع ظاهرة عامة وأنه جزء من كل.

فالإنسان يميل إلى تنزيه ذاته وتبرئة وسطه، فهو من المحكومين، و له صلة بهم، فيميل إذاً إلى تبرئتهم، ويلصق التُهم بجهة بعيدة، فيحصل عنده شعور زائف بالاطمئنان وعدم مسؤوليته عن ما يجري.

فكان التحول الأول بالنسبة لنا في كون المشكل لا يخص الحكام فقط، بل هو عام وشامل. وما دام كذلك، فلم يعد الهدف هو منازعة الحكام وأخذ السلطة، بل أصبح هدفنا هو القيام بواجب الدعوة في الناس. وبالتالي لم يعد

هناك داع للتنظيم السري، فأسسنا إطارا قانونيا لكي نعمل من خلاله، واكترينا مركزا، وبدأنا في إصدار جريدة، كل ذلك بجهودنا وبإمكانياتنا وبتمويل من الأعضاء، ونحن حريصون على ذلك لسبب واحد هو أننا نعتبر أن استقلاليتنا مرتبطة بالتمويل الذاتي.

الموقف من النظام الملكي:

بعد ذلك انتبهنا إلى شيء ثان، وهو موقفنا من النظام الملكي. ما هو الموقف الراجح شرعا تجاهه؟

إن الإنسان الذي تحركه فكرة التغيير فقط دون النظر إلى مآلها لا يفكر أولا هل يستطيع إحداث هذا التغيير؟ وإذا أحدثه لمن سوف تكون العاقبة؟

إن مجتمعات العرب والمسلمين ليست مجتمعات قائمة على أساس الحق كالمجتمع الإسلامي الأول، وليست مجتمعات قائمة على القانون كالمجتمع الغربي، ولكنها مجتمعات قائمة على الغلبة. والطرف القوي هو الذي يتغلب على الآخرين. والحركة الإسلامية لديها قدرة كبيرة على الانفجار في وجه الحكام والثورة عليهم وإسقاطهم، فهي التي أسقطت الملك فاروق في مصر، ولكن الذي أخذ المبادرة هو الجيش، وهي التي أسقطت الحبيب بورقيبة في تونس ولكن الذي أخذ الحكم هو بن علي، وهي التي فازت بالانتخابات في الجزائر فكان الحق والقانون بجانبها، ولكن الذي أخذ المبادرة هو الجيش لأنه يملك القوة، فبغض النظر عن إيران التي كانت لها ظروفها الخاصة، والشعب كان ولاؤه للعلماء والمؤسسة الدينية، لم تستفد الحركة الإسلامية شيئا، بل استفادت السجون والويلات والحرب على الدين بعد الحرب على المتدينين.

فتبين لنا أننا نملك فعلا كحركة إسلامية أن ننفجر وأن نُفجر معنا أشياء كثيرة وأن نُسقط مشروعيات، ولكن كنا سنستعمل أنفسنا ككاسحات ألغام لصالح الجهات التي سوف تكون المستفيدة حيث لسنا الطرف الأقوى. وتبين لنا أن تصرفنا سوف يكون سيرا بالمسلمين وبالإسلام من وضع، نقول إنه سيئ إلى وضع أسوأ منه، فكانت المراجعة الثانية.

حول الهوية الدينية للنظام الملكي:

المراجعة الثالثة، هي حول الهوية الدينية للنظام، فقد كنا نرفضها، وفي تلك المرحلة كنا ندعو إلى التعامل مع النظام الملكي في إطاره القانوني والدستوري، لكن تبين لنا أن الجهات العلمانية -وإن كانت لا تستطيع أن تعلن عن نفسها صراحة بسبب أن الدولة إسلامية والشعب مسلم- تريد إزالة الطابع الديني للدولة المغربية. ولو وقع ذلك فسوف نرى العجب العجاب ويظهر شر أكبر وننحدر إلى الكفر خطوات أخرى.

إن الهوية الدينية للنظام مكسب قيضه الله للحركة الإسلامية في المغرب. عندما قال أحدهم في البرلمان: «لكي نمنع الخمر نحتاج إلى قرار من البرلمان» أجابه الشيخ عبد الله كنون رحمه الله: «وقانون القرآن من الذي ألغاه؟».

إن الحركة الإسلامية في تركيا لا تستطيع أن تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية لأن ذلك يُعتبر جريمة يعاقب عليها القانون بنص الدستور. وقد ابتلي الأستاذ نجم الدين أربكان من أجل هذا كثيرا، ولهذا فالإخوة في تركيا يقولون: «نحن ندعو إلى النظام القرآني باعتباره أيديولوجيا من الأيديولوجيات، إن عملنا به وكان في صالحنا نستمر وإلا نتراجع». والوضع نفسه الآن في

بعض الدول الأخرى منها تونس بشكل أو بآخر.

إن الهوية الإسلامية هي أساس المطالبة بالمحافظة على ما تبقى لنا من الدين، وبالمطالبة بتطبيق ما ليس مطبقا منه. وما حدثت يوما من الأيام مسؤولا من المسؤولين عن تطبيق الإسلام وأنكر علي ذلك، إنما احتجاجهم علينا يتجه إلى مدى امتلاكنا لبرنامج في الموضوع. وهو كلام موضوعي، يطرح إشكاليات حقيقية.

المراجعة الرابعة :

على مستوى الدور الذي يقوم به النظام الملكي:

ـ أولا: النظام الملكي هو ضامن استقرار البلد باعتباره يتمتع بالمشروعية الدينية والتاريخية. وكل من أسقط مشروعية دون أن يقيم مشروعية أخرى سوف يصل بالبلد إلى الارتباك.

ففي أفغانستان كانت هنالك دولة أسقطها الشيوعيون وبنوا دولة لهم. هي بدورها أسقطها "الإخوان" دون أن يكونوا متفقين مسبقا على مشروعية فيما بينهم. فلم يستطيعوا إقامة دولة مستقرة إلى الآن. حتى أصبح بعض الأفغان يقول: «نجيب الله كان خيرا من هؤلاء، كان يبني المدارس والمستشفيات وهؤلاء يهدمون كل شيء ولا يبنون».

صحيح أننا ننتمي إلى الحركة الإسلامية وهؤلاء الإخوة الأفغان كذلك، لكننا إن لم نقل الحق في أنفسنا، فنحن لا نلتزم بالإسلام. ولن يؤتي الإسلام ثماره إلا لمن يعرفه ويعمل به، ولو كانت نتيجة ذلك أن ينفض عنا الناس: أن ينفض الناس عنا منذ البداية لاعوجاج يرونه فينا خير من أن نصل إلى كوارث

اجتماعية وسياسية واقتصادية وتاريخية، وبعد ذلك ينفضّون عنا.

ـ ثانيا: إنه يتبنى المرجعية الإسلامية ويحافظ على المشروعية الدينية. وقد كان الاستناد على المرجعية الإسلامية والتأكيد عليها في وقت لم يكن يُسمع فيه إلا صوت الاشتراكية والتقدمية. حتى الحزب الشيوعي لم يُعترف به إلا بعد أن غير اسمه. ولحد الآن حتى الشيوعيون والعلمانيون لم يستطيعوا أن يتنكروا للإسلام. بخلاف دول أخرى كتونس والجزائر حيث التعريض بالإسلام وإعلان بعض التنظيمات رسميا عن علمانيتها ولادينيتها.

إن دور الحركة الإسلامية في ظل هذا المعطى هو الإسهام في إعطاء المضمون الإسلامي لجوانب الواقع التي ليست كذلك وليس إنكار الجوانب التي يتجلى فيها الإسلام . مَثل ذلك كرجل مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولكن لا يصلي أولا يصوم أولا يحج أولا يزكي أويشرب الخمر، فهو يعترف بالإسلام ولكنه يقع في المعاصي، فهذا الحال أفضل بكثير من إنسان ملحد، ربما لا يشرب الخمر لكنه لا يراه حراما.

فدولتنا دولة إسلامية، وفي التزامها بالإسلام تقصير كبير، والجزء الأكبر من واجبها الديني لا تقوم به ومن مسؤوليتنا نحن في المجتمع الإسهام في إقامة هذه الواجبات الفردية والجماعية، من خلال التوعية ومن خلال تكوين الأطر المسلمة الملتزمة ومن خلال تحضير البدائل ومن خلال عرض هذه البدائل بكافة الوسائل.

ـ ثالثا: أنه يمثل حَكَماً بين مختلف الأطراف. وهذا شيء مهم، فنحن لا نُقدّر خطورة هيمنة طرف على الأطراف الأخرى.

في مصر بعد الثورة قال قائلهم: «كنا نشتكي من ملك فأصبح عندنا عدة ملوك». وفي الجزائر عانى الناس من ضباط الجيش الذي تسلط على الشعب الجزائري لمدة 30 سنة. فكل من أراد أن يقيم مزرعة لتربية الدجاج مثلا لا بد أن يكون أحد الكولونيلات شريكا له حتى تتيسر له الأمور.

وقد قلت لبعض الإخوة من الجزائر: «ما دام السيد الشاذلي بن جديد معكم، فالجيش والعلمانيون والغرب، كلهم سوف يبقون مطمئنين. فهو رجل مسلم حقا. فهو الذي جعل الشيخ محمد الغزالي يشرف على الجامعة الإسلامية في الجزائر. ولن يقبل رئيس دولة أن تكون زوجته محجبة إلا إذا كان مسلما. أما إذا أحرجتموه فسوف تصبحون وجها لوجه أمام الجيش، وساعتها سوف تكون كارثة». أجابوني: «إذا قلت هذا الكلام في الجزائر فسوف نحاكمك!».

حركة سياسية أم حركة إسلامية؟

وكانت المراجعة الكبرى بالنسبة إلينا: هل الأساس الذي نجتمع عليه هو الإسلام كرسالة من رب العالمين إلى عباده أم هو الدولة الإسلامية المتفرعة عن هذه الرسالة؟ بمعنى آخر هل نحن حركة سياسية إيديولوجيتها الإسلام؟ أم نحن حركة إسلامية تمارس السياسة؟

لقد كنا -وكثير من الحركات الإسلامية- إلى المعنى الأول أقرب. فالدولة الإسلامية، أو الحكم بالإسلام، موجود في الإسلام. لكن الإسلام ليس كله موجودا بالضرورة في الدولة الإسلامية. والذي تبين لنا من خلال مسيرتنا هذه وبطريقة موازية، أن الجماعة حين تقوم على أساس "التغيير" يصبح هذا

"التغيير" هو الهدف، فيرسم هذا الهدف مسار الجماعة. وتجد أعضاء الجماعة متحمسين لكل عمل فيه "التغيير" كالعمل السياسي، في حين أن أعمالا أخرى مطلوبة منا بصفتنا مسلمين لا ينشط لها العضو دائما، ولا ينشط لها كثيرا، ولا ينشط لها بنفس القوة.

لقد كان موقفنا من السلطة معدا سلفا ومفاده أنه ما دُمت تريد أن تغير، فلا يمكن أن يكون موقفك من السلطة إلا الرفض، وهذا أمر غير دقيق وغير معقول. ولكن وفق التعديل والترتيب الجديدين القائمين على مفاهيم الإسلام، فإنه ما دام مقصودك هو تدينك وتدين المجتمع، فيمكن أن يكون موقفك من السلطة هو الرفض أو الاعتزال، ويمكن أن يكون هو القبول، كما يمكن أن يكون هو التعاون والمشاركة. وموقفك هذا يتحدد حسب تحليلك وحسب تقييمك لقرب الأوضاع للإسلام أو بعدها عنه.

موقفنا من الأحزاب السياسية:

من ناحية أخرى وفيما يتعلق بمفهومي التغيير والإقصاء اللذين شملهما التعديل والترتيب، فلقد كانا يحيلاننا إلى أن تلك الأحزاب التي نشأت في حضن فكر غربي كالاشتراكية والليبرالية والعلمانية لا وجه للالتقاء معها، لدرجة أنه كان عندنا من يسمي "الاشتراكيين" بـ"اليهود".

ولكن فيما بعد، وفي إطار الإسلام كمنطلق، يعود الإنسان إلى حجمه الطبيعي لكي يستوعب الإسلام كما يفهمه. فليس كل الناس عندهم نفس الفهم ونفس الفكر. ومن هنا، فإن هذه الجهات السياسية ليست موجودة إلا لأنها تمثل شيئا، وما دام الأمر كذلك فلابد من التفاهم والعمل المشترك معها

لما فيه صالح شعبنا وأمتنا. وهكذا سوف يكون تأثيرنا في هذا الواقع بمقدار الخير الموجود فينا وقدرتنا على تنزيله وإظهاره وإيجاد المسالك الصائبة له.

إن الحركة الإسلامية في المغرب ومنذ أكثر من عشر سنوات أصبح خطابها خطاب دعوة إلى التعاون، وهذا ما انتبهنا إليه بفعل كثير من الأمور الأساسية التي أصبحت معيشة.

رغم طبيعة الأحزاب عندنا والتي تختلف في حدود علاقتها وتبنيها للإسلام في برامجها، فإننا لم نفتأ ندعوها للتعاون وللعمل المشترك،وهكذا مثلا، فإذا كان حزب الاستقلال إسلامي الخلفية، فإن هناك الحزب الشيوعي المغربي، وهناك منظمة العمل التي مرجعيتها الأولى يسارية. كما أن هناك حزب الاتحاد الاشتراكي الذي كان مسكونا بالتيار اليساري. ولكن ذلك كله لم يمنعنا من تحديد كثير من المسائل ذات العلاقة بهذه الأحزاب وفق منطلقاتنا الإسلامية. إن تلك المنطلقات ذاتها هي التي حكمت ما وقع بين "حركة الإصلاح والتجديد" و"رابطة المستقبل الإسلامي"، حيث طرحت الوحدة باعتبارها واجبا شرعيا. وهذا الأمر يختلف لو كان محكوما بإطار الإقصاء والتغيير، لأنه في هذا المجال يحدث للحركات والجماعات الإسلامية أن كلا منهما تعتقد أنها هي المكلفة بالإقصاء، وهي المكلفة بالتغيير، وهو الأمر الذي يقتضي منها إقصاء غيرها بما في ذلك الجماعات الإسلامية الأخرى. وإلا كيف نفسر ما وقع ويقع في أفغانستان.

دعاة هداية لا دعاة ولاية:

كل هذه كانت مراجعات في إطار فهمنا للسياسة الشرعية، البعض يسميها "تنازلات"، وأنا أتساءل: نتنازل عن ماذا؟ فليس عندنا شيء نتنازل عنه. فنحن مسلمون ومواقفنا نبنيها على الترجيح. أما ما كلفنا به من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فلا نملك نحن أو غيرنا أن نتنازل عن شيء منهما لأنهما ليسا ملكا لأحد. فالمبادئ نرجع فيها للأصول، والمواقف نبنيها على الإمكانيات. ولهذا لم يأذن الرسول ﷺ للمسلمين بالقتال في مكة، وأذن الله لهم به في المدينة، لأنه كان قد تغير وضعهم، فتغير تبعا لذلك موقفهم.

إن الحركات الإسلامية إذا كانت بالفعل كذلك لا يعد أي إجراء أو قرار تتخذه تنازلا إلا إذا كان تنازلا عن الدين. وأما إذا كانت تعتبر حركات سياسية، فإن كل رجوع منها إلى الصواب سيعد تنازلا.

إن المطلوب من الحركة الإسلامية ليس أن تتنازل، ولكن فقط أن تصحح مسارها باعتبارها حركة إسلامية. فالمواقف السياسية التي تخدم الإسلام كلها مشروعة. فلو رجعنا إلى صلح الحديبية الذي قبله الرسول ﷺ لوجدنا فيه أشياء كثيرة قد يعدها البعض تنازلات، ولكن الرسول أقرها وقبلها لأنه لم يجد فيها ما يخالف الإسلام. فعندما أصر المشركون على ألا يبدأ الصلح ب" بسم الله الرحمان الرحيم"، قبل ذلك وأمر عليا بأن يمحوها ويكتب "باسمك اللهم". كذلك عندما أصر المشركون على ألا يسمى الرسول بصفته رسولا،فإنه قد قبل ذلك.

فهل ما قبله الرسول يعد تنازلا؟..لا. إنه لم يقرر التنازل عن التوحيد أو

عن الصلاة أو عن الشريعة وإنما تنازل عن أمور لا تؤثر إزالتها من الورق على حقيقة الواقع، أي في البدء باسم الله وفي صفته باعتباره رسول الله.

لحن نريد "التغيير الإسلامي" و"التغيير الحضاري الإسلامي"، لكن كلمة الإسلام لازمة، والإسلام دين، والنظر في الإسلام يُلهمنا ويُرشدنا إلى أن أهم شيء في حياتنا كمسلمين، هو أن الله خلقنا ابتلاءً واختبارا. فالمطلوب منا ليس إقامة دولة إسلامية ضرورة وإنما يكون ذلك حسب القدرة والإمكان، ولكن نحن مبتلون ومختبرون في أمور الحياة كلها، والفوز العظيم بالنسبة إلينا هو الفوز بالجنة والنجاة من النار، ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ (آل عمران185).

ولقد سرني أن أسمع كلمة من الأستاذ راشد الغنوشي في شريط له إذ قال: «ماذا ينفعني أن تقوم دولة إسلامية في تونس إذا كنت سوف أدخل النار؟».

إن أخلاق ابتغاء السلطان شيء، وأخلاق العمل بالقرآن شيء آخر. والرسول ﷺ كان خلقه القرآن:

لقد قامت بعد دولة الخلافة الراشدة عشرات الدول في عرض بلاد الإسلام، دول كبرى مثل الدولة الأموية والعباسية ودولة المماليك والدولة العثمانية وغيرها. ودول أخرى في المغرب وفي إفريقيا وفي الهند وفي الأندلس وفي أفغانستان... ولكن التاريخ الإسلامي لا يكاد يعتبر هذه الدول، وبقي مشدودا إلى دولة النبوة ودولة الخلافة الراشدة.

وعندما ولي أبو بكر رضي الله عنه أمر المسلمين أراد أن ينزل إلى تجارته فمنعه

الصحابة من ذلك، وتفاوضوا معه واتفقوا أن يجعلوا له شاة في اليوم يأخذوا منها رأسها وكوارعها وبطنها ويعطونه اللحم. وتوفي وهو على نفس الحال، أو أقل غنى.

ولما ولي الأمر عمر ابن الخطاب، كان إذا جاع المسلمون يجوع، فهو الذي قال لبطنه في عام الرمادة: «غرغري أو لا تغرغري، فلن تذوقي سمنا ولا زيتا حتى يشبع ذراري المسلمين». وكان يقول لحذيفة ابن اليمان -وهو الذي علمه رسول الله ﷺ أسماء المنافقين- كان يقول له: يا حذيفة! هل أنا من المنافقين؟

وكان يُقال له: ألستَ من المبشرين بالجنة؟ فيقول: لعله على شرط لم يقع.

وكان يقول:« لو أن مناديا نادى يوم القيامة: يا أهل الموقف! كلكم إلى الجنة إلا رجلا واحدا إلى النار، لخشيت أن أكون أنا» .

ولما استشهد وهو يصلي صلاة الفجر إماما بالمسلمين، بعد أن طُعن بالخنجر رضي الله عنه وأرضاه، وبعد هذه الحياة الحافلة والتزكية المباشرة من نبي الله ورسوله الذي قال: «لو كان نبي بعد محمد لكان عمر»، فإنه قال لابنه عبد الله: «يا بني ضع رأسي على التراب عسى أن ينظر الله إلي فيرحمني».

هؤلاء هم الذين لما خلفوا النبوة استحقوا خلافتها. لم يكن همُّهم هو أن يبقوا حكاما، بل كان همُّهم الوحيد هو الفوز بالجنة والنجاة من النار. فكلنوا قائمين لله، مصداقا لما وقع بين عمر ورسول الله ﷺ، عندما دخل رضي الله عنه على الرسول ﷺ فوجده يجلس على حصير وقد أثر في ظهره، فقال له: «يا رسول الله الفرس والروم يعيشون في القصور، ويأكلون في الذهب والفضة،

وأنت تنام على حصير!؟» فقال له ﷺ: «يا عمر، ألا تحب أن تكون لهم في الدنيا وتكون لنا في الآخرة؟»

هؤلاء هم الذين كان منهم ما كان، إيمانا وعملا ودعوة وتعليما وإصلاحا وحكما وإرشادا. هؤلاء هم الذين علا شأنهم ومازلنا نذكرهم بعد أربعة عشر قرنا. من يذكر الوليد بن عبد الملك؟ من يذكر هشام بن عبد الملك؟ من يذكر الأمين بن هارون الرشيد؟ من يذكر هؤلاء؟. وقد يُذكرون بالسوء وإن ذُكر لهم بعض الخير، فكثيرا ما يكون مخلوطا. لأن هنالك فرقا كبيرا بين من يريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم وُلي شيئا من أمور المسلمين، وبين من يريد أن يَلي أمور المسلمين وفي قلبه شيء من الرغبة في رضوان الله واليوم الآخر.

إن هذا الدين، هو دين قبل أن يكون نظاما سياسيا، وإنه يمكن أن يُستنتج منه عدة أنظمة سياسية حسب الظروف والملابسات، وعدة مذاهب اقتصادية في حدوده، وعدة برامج حكومية، ولكنه لا يمكن أن يؤتي خيرا لا في الأولى ولا في الثانية ولا في الأخيرة، إلا إذا قام في أنفسنا على ما أنزل الله، ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد 12).

ولهذا فإن الأحزاب السياسية في العالم، كلها -تقريبا- فاشلة، وفي بلادنا أفشل، لأنها دائما تريد إصلاح الآخرين، وتقويم الأوضاع، وتصحيح المسلو، ولكنها لا تفكر أبدا في نفسها.

قال تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾(هود 112). وقال

أيضا: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا﴾(القصص 83). فالناس ينتبهون للفساد ولا ينتبهون للعلو. وكم هي الانحرافات التي ظهرت في الذين انتموا للحركة الإسلامية فتسلطوا وطغوا.

نحن لا نريد استبدال طغيان بطغيان، ولا ظلما بظلم، ولا فسادا بفساد. نريد غدا مشرقا حقيقيا، والسبيل إليه ليس في منازعة الحكام على كراسيهم، فقد أُمرنا ألا نازع الأمر أهله، وحدَّث رسول الله ﷺ الصحابة عن أمراء يصلون الصلاة خارج وقتها، فقالوا ماذا نفعل يا رسول الله؟ قال: صلوا صلاتكم، ثم صلوا معهم. قالوا يا رسول الله ألا ننازعهم الأمر؟ قال لا ما أقاموا الصلاة. وأجمع العلماء على أن الخروج على الحكام لا يجوز إلا عند الكفر البواح، وإذا رجح أن منازعة الحكم لا تأتي بفتنة أكبر من بقاء الحكم هم أنفسهم.

إن السبيل إلى هذا الغد المشرق هو في الاستقامة على الدين كما يحب الله ويرضى، بناءً على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا لشيء إلا لعبادته. قال تعالى:﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(الذاريات56).

فأنا لا أجد شيئا له اعتبار في حياتي، بعد هذا العمر غير القصير وهذه التجربة، يستحق أن أعيش من أجله -كما قال علي عزت بيغوفيتش- أو أموت من أجله إلا الإسلام، باعتباره دينا سوف يسألني الله عنه.

قد يقال فلم الاشتغال بالسياسة؟ أقول: لأنني أعتبر ذلك واجبا أمام الله، ولو علمت أن ديني يعفيني من الاشتغال بها، لما اشتغلت. لأن الحكام اليوم لا

يطبقون الإسلام، وتطبيق الإسلام والعمل على تطبيقه واجب شـــرعي، وإلا ندخل معهم في وعيد الله سبحانه وتعالى. وأنا أعمل لذلك ما أستطيع. ولكـن أعتبر أن الأمة غير مستعدة للحكم الذي نأمله. ونحن نعلم أن المجتمع يجب أن يكون مستعدا لتطبيق القانون، وإلا أصبح هذا القانون مهملا. فعندما تكـثر الجرائم وتتكرر باستمرار، يكون المشرع مضطرا للتراجع عن إصدار عقوبـة ضدها. وهذا هو سبب تغيير الأحكام في بلاد المسلمين من الأحكام الشـرعية إلى الأحكام الوضعية. لأن المسلمين لم يعودوا قادرين على تطبيق الأحكـام الشرعية بسبب الانحراف الاجتماعي العام.

يمكنك استعمال السلطة، ولكن الذي يَفهم ما هي السياسة، ومـا هـو الاجتماع ، يفهم بأن القوة والعنف لا يمكن أن يقوما في المجتمعات إلا بـدور هامشي. فبمقدار ما تصبح محتاجا إلى القوة لضبط الناس، بمقدار ما تكون قـد فقدت مشروعيتك واقتربت من نهايتك. وبمقدار ما تكون قادرا على إحـداث التوازن داخل المجتمع مع الاستعمال القليل للسلطة وللقوانين، بمقـدار مـا تَكتسب المشروعية.

نحن نريد تطبيق شرع الله، لكن يجب أن نعمل لذلك بكافـة الوسـائل: رجال القانون، بتطبيق ذلك. والمربون، برفع المستوى التربوي. وعن طريـق العمل السياسي لإقناع الحكام... ويكون توجهنا نحو تطبيق الإسـلام ليـس توجه طائفة نحو أخذ الحكم، ولكن توجها جماعيا نحو الاتفاق عليه والالـتزام به.

من المقاطعة إلى المشاركة السياسية:

انطلاقا من أننا دعاة هداية أولا وقبل كل شيء، لا دعاة ولاية وأننا جزء من الأمة ولسنا طائفة، فنحن إذن نمثل جزءً من الرأي العام، فالأصل هو أن نشارك هذا الرأي العام في كل ما يقوم به إلا ما كان حراما.

أما بالنسبة للعمل السياسي فلم يكن له وزن في حياة الناس كما هو عليه في هذا الزمان. فلا بد إذا أن نكون في المكان الذي يحضر فيه القرار السياسي بصفتنا جزء من هذا المجتمع.

وقد ساهم علماء الأمة، المتقدمين منهم والمتأخرين، في التأصيل للمشلوكة السياسية، منهم شيخ الإسلام بن تيمية، والدكتور يوسف القرضاوي والشيخ بن باز والدكتور عمر عبد الرحمان.

«..*على أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها. فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما هو المشروع*».

فالأصل في العبادات ورود النص والأصل في العادات الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم. والمشاركة في حياة الناس اليوم أصبحت شيئا ضروريا. فحين نشارك، نصبح محصنين بالقانون عوض أن نبقى خارجه، ونكون حاضرين في مراكز القرار عوض أن نبقى بعيدين عنها، وعوض أن تصيح برأيك ولا يكاد يسمعك إلا القليل من الناس، فإن وسائل الإعلام تضطر إلى حمل رأيك إلى كل المجتمع.

إن مشاركتنا في الحياة السياسية ينبغي أن يكون لها محوران:

ـ محور أول: فكري وروحي يعُمنا أو يشع منا ويعم الآخرين.

ـ ومحور ثان يتضمن مساهمتنا بذواتنا وأشخاصنا في هذا الواقع الـــذي نعيشه.

بذلك تكون مواجهتنا للإقصاء والاستثناء من المشاركة إيجابية، لأنـــه في كثير من الحالات والتجارب لا تتعرض الحركة أو الجماعة للإقصاء، ولكنـــها تقصي نفسها بنفسها. ويكون ذلك خاصة عندما تحمل في نفسها مشـــروعا مستحيلا، أو عندما تريد أن تستأثر لنفسها بالمجال كاملا، وعندهـــا تكـــون النتيجة أن الحركة الإسلامية في الحقيقة تتعاون مع خصومها علـــى إقصـــاء نفسها.

من ناحية أخرى، أعتقد أنه في موضوع المشاركة، ينبغي علـــى الحركـــة الإسلامية أن تتخلص من اتهام الآخرين، لأن الله سبحانه وتعالى علمنا في كتابه الكريم أن أكثر ما يقع للناس هو بسبب أخطائهم وبســـبب ذنوبهـــم: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ (النساء 79).

وفي هذا الصدد أعتقد أن الحركة الإسلامية في كثير من المواقع كانت لهـــا تصرفات إما أنها أفزعت الأطراف الأخرى، فأغلقت الأبواب دونها، وإما أنهـــا أعطت الفرصة لأعدائها كي يُخَوِّفوا منها. وكان من نتيجة ذلـــك أن وقـــع اتفاق في دوائر القرار، التي يكون الغرب جزءا منها، على قطع الطريق عليـــها (كما حدث في الجزائر مثلا). وهكذا إذن تكون الحركة الإسلامية قد ساهمت في هذا الإقصاء الذي تعرضت له، ولو كان منفذوه من الأطراف الأخرى.

إن المطلوب اليوم من الحركات ومن الجماعات الإسلامية العاملة في أكثر من مكان وساحة هو الاعتراف بالأطراف الأخرى، وهذا أمر واقع وحقائق يجب أن ترجع إليها الحركة الإسلامية، لأنه لو استطاعت هذه الحركة أن تقضي على كل ما هو موجود في المجتمع لما كانت في حالة جيدة.

وهذه الحركات وهذه الجماعات، ونحن جزء منها بطبيعة الحال، مدعوة إلى مراعاة الخصوصيات، فالملاحظ أن التدين سواء أكان إسلاميا أم غيره، دائما يراعي الخصوصيات. ولكن التساؤل يطرح حول متى يقع ذلك؟ إنه في نظري يقع في دائرة ما هو خارج عن التنازل عن الدين.

وهكذا تكون مراعاة الخصوصيات التي تضر ولا تتعارض مع الإسلام من تمام الحكمة ومن ما هو مطلوب. فنحن اليوم كتجمع بشري وبفعل أنظمة الحياة المختلفة المتعددة –التي تدخل أغلبها في إطار النمط الغربي والتي أصبحت بمثابة خصوصيات– من الضروري الحذر في التعامل معها، لأنه لا يمكن القطع معها ومع النظام الغربي ومع دول وحكومات هذا النظام، ولكن الواجب القيام به في هذا الإطار هو الاحتفاظ بهذه العلاقات وتعديلها وتكييفها وفق مصالحنا المشروعة.

أما خصوصيات مجتمعاتنا، فينبغي التعامل معها واحترامها في الحدود الموضحة سلفا. فالمجتمع المغربي مثلا مجتمع تعددي منذ نشأته الأولى تعددية تبرز على مستوى اللهجات والعادات والتقاليد وكذلك الأفكار.. هذه التعددية لابد من ملاحظتها والوقوف عندها واحترامها، بحيث يغدو تنميط الإنسان في المغرب ليس هو تنميط الإنسان في مصر، إذ أن تنميط الإنسان في

المغرب شيء مستحيل لا تستطيعه حركة إسلامية ولا غيرها، وهذا جزء من الخصوصيات الواجب مراعاتها.

في هذا الإطار أعتقد بأن مشروع الإسلاميين المغاربة يجب أن يكون واقعيا بحيث يُراعي هذه الخصوصيات، ويحاول أن يرفع منها لتكون أقرب ما يمكن للمنظومة الإسلامية.

إن المطلوب حقيقة بالنسبة للإسلاميين هو اجتهادات سياسية تلائم المرحلة، ولكننا لا نزال دونه، إننا فقط في مراحل التلمس الأولى وعسى أن تكون المراحل المقبلة أفضل.

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

الفصل الخامس

الحركات الإسلامية والإخفاقات المتكررة

النموذج الأفغاني.

لم تعد الأوصاف تجدي في نعت ما يقع في أفغانستان من حرب ودمار بين الإخوة الأعداء أو حملة المشروع الواحد. فلا وصف "المأساة" يكفي للتعبير عن المستوى الذي وصلت إليه الأمور، ولا مصطلح الكارثة بدوره، خاصة بعد ما آلت إليه الأمور بعد انهيار نظام رباني وحكمتيار ودخول حركة طالبان إلى العاصمة الأفغانية "كابول".

إنني أعتقد أن الوضع من الناحية الحضارية هو فعلا مأساوي. وهو يعود في جزء كبير منه إلى إشكال موجود، يتمثل في أن الذين حاولوا أن يسترجعوا المبادرة (الإسلامية) لم يكونوا قد انتبهوا أو أدركوا الأسباب التي كانت خلف ضياع المبادرة. والإسلاميون الأفغان، الذين سعوا إلى السلطة وهم مُحملون بالرعونات والأفكار الخاطئة التي كانت بعض أسباب زوال المبادرة من الإسلام والمسلمين، هم من كشفوا ذلك وأنجزوه على أرض الواقع عبر الحروب الخاسرة في ما بعد التحرير من الغزو السوفيتي.

غير أن المشكل الأفغاني يُسعفنا في تحديد بعض أصناف التيارات التي تشق الحركة الإسلامية المعاصرة، إنه في عمقه تجربة نموذجية لمشروع تيار معين في الحركة الإسلامية، ينبني تصوره على قاعدة مفادها أن المبادرة انتزعت من المسلمين بالغلبة ولا يمكن ردها إلا بذلك. ولم يكلف هذا التيار نفسه مهمة أو عبء دراسة ووعي الأسباب الحقيقية لزوال المبادرة من بين أيدي المسلمين، ولا تحديد الظواهر الفكرية والاجتماعية والسياسية التي حكمت ذلك الزوال والتحكم فيها من طرف أيد أخرى. بل اتجهت الجهود صوب استرجاع دفة

الحكم دون أي تفكير في مضمون ومشروع الحكم، اللهم إلا تلك الشعارات التي لم تعد تغني عن التفاصيل والبنود والأولويات. وهكذا لم يمر وقت طويل حتى فند مسار الأحداث التي عرفتها أفغانستان هذه الرؤية منذ دحر الشيوعيين وانتصار من كانوا يجاهدون ضدهم. وكان ذلك في البداية مع محور حكمتيار-رباني، ثم مع "طالبان" في وقت متأخر.

يمثل رباني وحكمتيار رمزين من رموز الحركة الإسلامية، ينتميان إلى نفس المدرسة المنضوية بدورها تحت لواء تيار عالمي أصداؤه ممتدة من المشرق حتى المغرب. وكغيرهم، حصر الزعيمان الإشكالية في موضوع الغلبة. غير أنهما لما وصلا إلى مكان المبادرة، ووقت تطبيق ما جاهدا من أجله، تفجرت الصراعات الدامية بينهما، وهي نزاعات تجد جذورها وأسبابها المباشرة في المنهج المعتمد من طرفهما. هذا ولقد استمرت الصراعات بينهما وقتا طويلا مما حال دون استقرار الوضع في أفغانستان، وأدى إلى تدمير المنشآت وتقتيل عشرات الآلاف من الناس الذين أصبح عدد لا يستهان به منهم يتمنون عودة زمان الشيوعيين.

الوجه الثاني للطرح الإسلامي في أفغانستان والذي كان في كثير من جوانبه الأسوأ، افتضح على يد "الطالبان" الذين حتى وإن استطاعوا الانتصار، فإنهم بدورهم لم يكن لهم أي مشروع.. إلا بعض الإجراءات الجزئية التي تعبر عن التقاليد أو تميل إلى التشدد أكثر مما تذل على الرشد والنضج.

إن هؤلاء بدورهم لم ينتبهوا إلى أن الفكر التقليدي والاجتهادات التقليدية هي من فعل المسلمين وليست من مقتضى الإسلام ضرورة، والناس غالبا لا

يطيقونها أو هي غير صحيحة في حد ذاتها ولم تعد صالحة ولا يمكنها أن تحل الإشكالات المعاصرة. ولقد كانت الصورة التي أعطاها هؤلاء لما وصلوا إلى الحكم، كاريكاتورية ومزعجة في نفس الآن. وهكذا يغدو ما يقع في أفغانستان صورة نموذجية لما يمكن أن يحدث في أي بلد إسلامي آخر، إذا لم تعد الحركات الإسلامية إلى نفسها وتعالج إشكالين رئيسيين:

– الأول: وهو المتمثل في أن المقصود ليس هو الذوات والأشخاص أو الأفراد، وإنما هو الموضوع والمشروع ككل، لأن الأمر إذا اتجه ناحية الأشخاص، فإن كل واحد سيعتقد أنه هو الوحيد على صواب وأن ما يراه الآخرون خطأ لا يحتمل الصواب. ويمكن القول أن ما وقع بين حكمتيار ورباني خير مثال على ذلك، فكل واحد منهما تصور أن اجتهاده هو الوحيد الذي يلزم لإنقاذ أفغانستان، وفي سبيل ذلك دمروا أنفسهم ودمروا أفغانستان معهم بالكامل.

– وأما الثاني فيتعلق بما تريد فعله تنظيمات الحركة الإسلامية في حالة وصولها إلى السلطة أو المساهمة في إدارة دواليب الحكم. وهنا يُطرح التساؤل: هل ستحاول تطبيق ما كان عليه المسلمون قبل قرن من الزمان؟ فإذا كان ذلك هو المقصود، فإن تلك محاولة فاشلة، لأنه إنما توقف تطبيق الإسلام قبل قرن أو يزيد، لا لأن المبادرة ضاعت سياسيا وعسكريا، ولكن لأن كثيرا مما يطبقه الناس ونسبوه إلى الإسلام لم يكن في مستوى ما تحتاجه الشعوب في تلك المرحلة وكذا ما جدّ في حياة البشرية انطلاقا من الدخول في علاقات مع الغرب، ومن تجدد عدة مفاهيم ومعان كانت موجودة. ولهذا، فإن التجربة

الأفغانية بتطوراتها الحالية، تجربة نموذجية بالمعنى السيئ، ولكنها في نظري إيجابية من زاوية دفعها لفعاليات الحركة الإسلامية في اتجاه مراجعة ما هي عليه الآن. ومما يجعل الحرب الدائرة قذرة إلى حد كبير هو أن الأبرياء هم الذين يؤدون ثمنها، وهكذا كانت الأمور دائما.

ففي أفغانستان منح هؤلاء -الأبرياء- المشروعية في البداية للقيادات الإسلامية، لأنهم اعتقدوا أنهم بذلك سيتخلصون من حكم شيوعي تنكر لهويتهم وضيق عليهم نطاق حرياتهم، إلا أنهم هم أنفسهم الذين يتحملون النتائج في الوقت الذي تصل فيه مجموعات غير ناضجة إلى السلطة.

غير أن الحرب الأفغانية دلت فيما دلت عليه من الدروس المستفادة أنه إذا كانت كل المجموعات البشرية -إسلامية كانت أو غير ذلك- يمكن أن تصل خلافاتها ونزاعاتها إلى حد التقاتل وتوجيه البندقية في صدر بعضها البعض، فإن الشيء الوحيد الذي أصبح واضحا هو أن الإسلاميين المعاصرين ليسوا براء من هذه التهمة، ويمكن فعلا أن يصلوا إلى حد الاحتراب الداخلي والاقتتال الدامي الدراماتيكي. وهذا ما قد وقع -للأسف- في تاريخ الإسلام منذ الفتنة التي حدثت على عهد عثمان ﷺ.

والعاقل هو الذي يتجنب الوصول إلى المراحل التي يمكن أن يستساغ فيها مثل هذا السلوك من جهة، ومن جهة أخرى فإن هناك توجيهات ربانية واضحة تدعو أنه في حالة حدوث اقتتال داخلي، فإن على الأمة محاولة الإصلاح، فإن فشلت فعليها محاربة الفئة الباغية. وهذا ما لم تفعله الأمة، وبذلك تغدو كلها آثمة لأنها لم تتحرك في هذا المسعى. وحتى الحركة الإسلامية

(العالمية) لم تعلن مواقف واضحة باتجاه الانتصار لمظلومية طـــرف معـــين في الصراع الدائر. وقد كان ذلك دليلا على عدم امتلاكـــها الجـــرأة لتطبيـــق مقاييس الشرع الذي تدعو إلى تحكيمه. وهذا أمر خطير جدا، لأنه يعـــني أن الاعتبارات السياسية لديها تمنعها من الالتزام بمرجعيتها. وطبيعي أن يـــترتب على ذلك نتائج: منها الانهيار الشامل والعام للمؤسسات وتشتت في قـــوى السلطة ومراكزها، مما يعني أن الناس لا ينتبهون قبل تحطيم كيان قائم أنـــه إذا لم تكن لديهم بدائل جاهزة، فإن ما سيعقب ذلك كله هو شـــيوع الدمـــار والفتنة.

وفي باب أسباب الأزمة الأفغانية، يزعم البعض، أن الأمر يتعلق بمؤامـــرة أجنبية من أجل الحيلولة دون قيام دولة إسلامية جديدة في وسط آسيا! وهـذه الإحالة تكشف أكثر عن تخلفنا وعدم مسؤوليتنا، فما وقع في تاريخنـــا مـــن حروب وتراجعات وهزائم منذ الفتنة الكبرى، كنـــا ولا نـــزال نعـــزوه إلى المؤامرات الخارجية. فلا غرابة في أن تكون للغرب يد طولى في ما يجري علـــى أرض أفغانستان، ولكن مجمل تلك المؤامرات تمر عبر مسلمين عندهم قابليـــة لذلك، والحركة الإسلامية تتحمل المسؤولية الكاملة فيما يحدث.

إنني بصراحة ممن يميل إلى عدم لوم العدو إذا تآمر، ولكنني ألوم نفســـي إذا دخلت طرفا في مؤامرته، وعملت بما يريد مع التضحية في المقابل بمجتمـــع ودولة قائمين.

النموذج الجزائري.

من المسلم به أن تطورات الأوضاع التي عرفتها الساحة الجزائرية تصيب الإنسان بنوع من الذهول والحيرة إزاء درجة العنف الطائشة التي وصلت إليها الأطراف هناك، والتي قد تدفع باتجاه الالتباس ومساواة الجاني بالضحية، وخاصة بعد أن أصبح العنف والقتل والتقتيل لغة الخطاب الأساسية في الصراع الدائر هناك.

لكن ورغم أن الأزمة في الجزائر لم تعد حدثا عاديا أو خافيا على أحد، فإن الجميع يؤرخ لبدايتها بشكلها الحاد مع تدخل الجيش لإيقاف المسلسل الانتخابي في ديسمبر 1991 . ولقد كان من المتصور أن تدخل الجيش لإيقاف المسلسل الانتخابي سوف تتلوه حملة من الاعتقالات، وأن الشعب سوف يرضخ ويستسلم، إلا أن الأمور سارت بعكس ذلك، وكشفت فيما كشفت عنه أن العسكر (أي الجيش وخاصة قياداته النافذة والمواجهة) لم يستوعب أن ظاهرة الجبهة الإسلامية للإنقاذ لم تكن ظاهرة حزب سياسي ولا تنظيم إسلامي، ولكنها كانت ظاهرة اجتماعية وتجاوزت مرحلة التنظيم ومرحلة المجموعات التي يمكن ضبطها إلى أن تعم أكبر شرائح المجتمع، ولأجل ذلك، فإن الجيش قد عجز عن إيقاف هذا المد المتجدد باستمرار، رغم استعماله لكافة وسائل القمع والانتقام المعروفة وغير المعروفة. وهكذا تظهر أول إشكالات الأزمة الجزائرية، ألا وهي سوء تقدير قيادة الجيش الجزائري لمآلات الأوضاع عند تصديه لاختيار ورغبة الشعب الجزائري.

أقول ذلك، وفي ذهني أن حق اختيار الشعوب لمن يحكمها وللبرامج التي

تبتغيها، أمر ومبدأ ترسخ، ولا يمكن خرقه ولا النكوص عنه مهما كانت المبررات. وأعتقد أن الشعوب حينما تُحرم من هذا الحق، فإنها ستسترجعه ولو بعد حين، وإن كان ذلك قد يتطلب أحداثا دامية كما وقع في الجزائر. إنه من الطبيعي أن الشعوب من حقها أن تُساس بالطريقة التي تريد، وأن تختار لحكمها من تريد. وأما الدور الطبيعي للجيوش، فإنه حماية البلاد والحفاظ على السيادة الوطنية. غير أنه مما يؤسف له، أن أغلب الجيوش التي أفرزتها المرحلة الاستعمارية وما بعدها، هي جيوش موزعة بين شعورها الوطني، وبين ولائها لمصالح ولوبيات وجهات بعضها خارجي. وهو الأمر الذي يجعل من هذه الجيوش، عوض أن تكون حامية لشعوبها، قائمة بالتسلط عليها ومذلة لها لصالح غيرها.

إن الأسباب العميقة التي أدت بالأوضاع في الجزائر إلى ما هي عليه الآن، ترجع بالأساس إلى القيادة التي هيمنت على الشؤون في الجزائر، والتي كانت تعتمد على نظام الحزب الوحيد (جبهة التحرير)، حيث وصلت الأوضاع في عهدها إلى مرحلة جد سيئة وحرجة، إذ ساد السخط العام كافة قطاعات المجتمع. ولقد شاءت قدرة الله أن يكون الشعب الجزائري في هذه المرحلة قريبا من الخطاب الإسلامي، وذلك أولا، لأنه شعب مؤمن وعميق الإيمان، وهذا أمر معروف، وثانيا، لأنه شعب جاد وعربي معتز بعروبته ومقوماته الوطنية، وثالثا لأن الفضاء الوحيد الذي بقي يساهم في تأطير المجتمع هو المسجد. هذا ولقد سمحت الفترة التي سبقت إيقاف المسلسل الانتخابي، وتلت أحداث أكتوبر1988، والتي تميزت بديمقراطيتها بفضل مجهودات الرئيس الشاذلي بن

جديد، ببروز الخطاب الإسلامي ذي قوة المضمون وقوة المقترحات، والفاعلية في العمل. أكثر من ذلك، لقد سمحت بعض الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال عقد الثمانينات، وتحديدا بعض الكوارث الطبيعية كالزلازل، بتبين العلاقة التي تجمع بين فعاليات الحركة الإسلامية والشعب الجزائري الذي لمس عن قرب تفاني هؤلاء في خدمته وفي تقديم المساعدة للمنكوبين. لقد وقف الشعب الجزائري آنذاك على أن أبناء الحركة الإسلامية كانوا أسرع في نجدته، وأكرم في عطائهم، وأكثر قدرة على مساندته في مصيبته التي حلت به.

فشعب تستقر في نفسه كل هذه المعطيات، من الطبيعي أن يختار الجهة التي رأى منها خيرا، والتي أثبتت بما لا يدع مجالا للشك حضورها السياسي والانتخابي. ولقد وقفت شخصيا على مثل ذلك من خلال المتابعة، فأدركت أن لا أحد من الأطراف السياسية الأخرى كان بحجم وبقدرة الجبهة الإسلامية للإنقاذ. وتبعا لذلك فقد كان من الطبيعي أن يمنح الشعب الجزائري ثقته للإسلاميين.

غير أنه إذا كان صحيحا أن الإسلاميين بالجزائر لم يكن واضحا لديهم بالكامل ماذا سيفعلون، إلا أنه لا يمكن أن يُقبل إطلاقا أن يُحكم عليهم قبل أن يفعلوا ما يريدون فعله. لأنه إذا كان أن يُتصور أنه بعد ممارسة تجربة الحكم سوف يفشلون، فإن الحكم عليهم قبل وقوع ذلك يقينا لا يمكن أن يقبل من أي طرف. وهذا عين ما فعله الجيش، لأنه حرم الجزائريين من التأكد من فشل الإسلاميين في إدارة دفة الحكم، أو من أن يجدوا معهم حلا لمشاكلهم، مما قد يفضي إلى استفادة الجميع، بما في ذلك الجيش.

ولا يسع المرء المتأمل للتجربة الجزائرية إلا أن يقف عند النجاحات الكبيرة التي حققتها جبهة الإنقاذ، دون إغفال الإخفاقات طبعا. سواء كان ذلك على مستوى الرصيد الشعبي الذي عكسته الانتخابات البلدية، وكذا الدور الأول من الانتخابات التشريعية، أو كذلك على مستوى الحركية التي أرجعتها للمجال السياسي، بعد أن كاد الشعب الجزائري يفقد الأمل في سياسيه ونُخبه بالكامل. ولذلك فإن ما وصلت إليه الجبهة وما حققته يجعلنا نقول ودون تردد أن الجبهة الإسلامية كانت أكثر من حزب، لأنه لا يمكن لحزب لم يمض على تأسيسه سوى ثلاث سنوات أن يكون له كل ذلك الزخم وكل ذلك التجاوب. إن الأمر في -اعتقادي- أكبر من أن يكون ظاهرة حزبية، إنها في الحقيقة مبادرة جد ذكية من مجموعة من الشخصيات، وعلى رأسهم عباسي مدني، الذين انتبهوا إلى أن الشعب الجزائري -المتطلع والمتحمس- في حاجة إلى جهة تبادر إلى تأطيره، انطلاقا مما استقر في نفسه من المبادئ والقيم فكانت بذلك الجبهة الإسلامية للإنقاذ، تجربة فريدة، لم يكتب نفس النجاح الذي حظيت به وعرفته، لا لحزب محفوظ نحناح ولا لحزب جاب الله الإسلاميين كذلك.

وفي نظري، فإن ذلك النجاح والتفاعل اللذين حظيت بهما من طرف الشعب الجزائري، لا يعود إلى انفعالية أو شعبوية في خطاب وسياسة قادتها، كما يذهب إلى ذلك كثير من المتابعين بمن فيهم بعض الإسلاميين، وذلك لأن المبادرة -مبادرة إنشاء الجبهة وانخراطها في العمل الجماهيري- كانت مبادرة تفاعلية مع الواقع ومع الأحداث، ولقد مثل إنشاؤها وبروزها خطوة جيدة،

ولكنه يعود إلى حاجة الشعب الجزائري إلى قوة وسياسة قريبة منه وصادقة وعملية، وهو ما وجده في جبهة الإنقاذ وفي قادتها.

إلا أن ما يمكن مؤاخذة جبهة الإنقاذ عليه هو في بعض الخطوات التي خطتها عند الممارسة. لقد وقعت الجبهة فيما بعد في نوع من سوء التقدير. كما قد تكون الجبهة، فيما يتعلق بالمسألة الديمقراطية، قد عانت شيئا ما من مكوناتها التي استقر لدى بعضها خطاب فيه نوع من المزايدة، وإلا كان لا بد من تقدير مجريات ومسارات العملية الديمقراطية وعلاقاتها وتداخلاتها المحلية والخارجية، إذ كان لابد من إدراك ومراعاة المعادلة والصيغة التي مقتضاها: رغم حرية الشعوب في أن تتخذ لنفسها ما تريد من الخيارات وأن تختار من تشاء ليحكمها، فإن هناك معطيات تتجاوز مقدرات هذه الشعوب. إن هنالك -وكما تأكد ذلك في الجزائر- الغرب، المنافق المتردد الذي له مصالح لا يسمح بتهديدها. كما أن هناك قوى محلية متنفذة، وجهات لها مصالح وتسيطر على مقاليد الأمور، من بينها الجيش والنخب السياسية والاقتصادية والثقافية. وليس خافيا أن هذه الأطراف أو بعضها على الأقل يتوفر على وسائل القهر والغلبة وأن مجتمعاتنا ما زالت تخضع لميزان القوة ولمبدأ الغلبة.

ولقد برز سوء التقدير الذي وقعت فيه قيادة الجبهة أكثر عشية الدور الأول للانتخابات، وذلك عند الدخول في إضرابات سياسية ومحاولات العصيان المدني بعد خلاف حول مشروع القانون الانتخابي، والذي كان يعكس في عمقه رغبة وإرادة بعض الأطراف في الحيلولة دون فرص الفوز الكامل للجبهة، الذي كان سيمكنها من التحرك بطلاقة ودون الحاجة لقوى

أخرى للتحالف أو التنسيق معها. ولقد كان من نتائج تلك المرحلة أن الجبهة تبنت تحليلا مفاده أن النظام الجزائري لا يقبل مشاركتها السياسية إلا بصفة محدودة، وبناء على ذلك فقد ذهبت إلى الاعتقاد أنها باعتماد شعبيتها المفرطة التي كانت تتمتع بها، سيكون بإمكانها استرجاع المبادرة كاملة.

وهذه التطورات أو التحليلات هي التي أعطت -فيما أرى- المشروعية لمبدأ المغالبة. وهذا المبدأ تكون الكلمة في النهاية فيه للسلاح والقوة المنظمة. والتي غالبا ما يكون لها وحدها حسم الخلاف أو إحداث الارتباك والفوضى. ولقد كان من نتائج ذلك أن ساءت العلاقة بين الفئة الحاكمة كلها وبين الجبهة، ووصلت إلى النقطة التي أدت إلى توقيف الانتخابات.

لقد كان بالإمكان أن تسير الأمور في اتجاه آخر لو قُدرت الأمور تقديرا حكيما، يكون مختلفا تماما عما حدث. إنني أعتقد أن الإضرابات التي دعت إليها الجبهة في يونيو1991 ، نتجت عن تقديرات متسرعة، كما أن المشاركة في الانتخابات (من طرف الجبهة) كان يجب أن تكون محدودة بشكل يُسمح فيه لباقي الأطراف بالتوفر على جزء من المبادرة مما يُمكن الإسلاميين من لعب دور أكثر إيجابية. فالإسلاميون في تركيا لم يكونوا يتوفرون تقريبا على أكثر من 21% من الأصوات، ومع ذلك، فإنهم حكموا البلاد، وأحدثوا تحولات كبيرة. وهو ما يبين أن الإسلاميين لم يأتوا لكي يكونوا حزبا عاديا، ولكنهم جاؤوا ليؤسسوا لتغييرات حقيقية في الحياة السياسية التركية، رغم العوائق والمكائد التي تحاك ضدهم.

وإن كنت لا أنفي مسؤولية الأطراف الأخرى، في الجزائر، الممثلة في

قيادات ومسؤولي الجيش (أصحاب المصالح والامتيازات..)، وكذا بعض الأطراف العلمانية والفرنكفونية المعادية للتوجه الإسلامي والعربي للشعب الجزائري، والتي انكشف مرة أخرى نفاقها وزيفها فيما يتعلق باحترام حقوق الإنسان وإرادة الشعوب وتبنيها للديمقراطية التي طالما رددوها صباح مساء في أجهزة إعلامهم، إن كنت لا أنفي مسؤوليتهم، فإني أقر مع ذلك أن الإسلاميين في الجزائر (في جبهة الإنقاذ) يتحملون جزءا من مسؤولية ما وقع، وذلك راجع في نظري إلى وجود مفارقة في عقلية الإسلاميين: المفارقة في تقدير الحق المبدئي مع الإمكانيات الحقيقية.

فيما يتعلق بالحق المبدئي، يمكنك أن تتصور أنك صاحب الحق المطلق، ولكن حين تكون إمكانياتك الحقيقية لا تسمح بذلك، وحين تكون الظروف الموضوعية على درجة من السوء والتعقيد، فإنه يكون من الأفضل أن تراعي الظروف المحيطة بك. وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، فلقد كان من حقه أن يدخل البيت الحرام وأن يعتمر ولكنه كان واعيا بأن من الصعب أن يقاتل قريشا في عقر دارها ببضع مئات من الصحابة رضي الله عنهم، فضلا على حرصه صلى الله عليه وسلم على تعظيم حرمة مكة وعدم الاقتتال فيها، فقَبل الصلح مع المشركين، ورجع إلى المدينة، ثم بعد ذلك جاء الفتح.

فالإسلاميون في الجزائر –فيما أعتقد– وقعوا في هذا الخطأ الفظيع، وهو ما أدى إلى النتائج المأساوية التي نراها اليوم، ولأجل ذلك فإن جبهة الإنقاذ الإسلامية تتحمل جزءاً من المسؤولية فيما وقع لها وللشعب الجزائري كله.

كلمة السلسلة 3

تقديم الأستاذ محمد يتيم 6

-الفصل الأول: أساسيات

الغاية من خلق الإنسان 11

الحضارة الغربية والنظام الدولي الجديد 15

-الفصل الثاني: منهج التغيير الإسلامي

واقع المسلمين اليوم.....25

الدعوة أم الدولة.....27

حول الخلافة الراشدة 34

-الفصل الثالث: الحركة الإسلامية وإشكالية الخطاب

النشأة والتطور.....37

بداية الحلم.....43

سقوط الحلم 47

بين الإقصاء والمشاركة.....48

دور ومسؤولية الطليعة الإسلامية.....50

-الفصل الرابع الحركة الإسلامية: خلاصة تجربة

قل هو من عند أنفسكم.....55

الموقف من النظام الملكي.....57

حول الهوية الدينية للنظام.....58
المراجعة الرابعة.....59
حركة سياسية أم حركة إسلامية.....61
موقفنا من الأحزاب السياسية.....62
دعاة هداية لا دعاة ولاية.....64
من المقاطعة إلى المشاركة السياسية.....70
-الفصل الخامس: الحركة الإسلامية والإخفاقات المتكررة
النموذج الأفغاني.....75
النموذج الجزائري.....80
الفهرس 87

"هل الأساس الذي نجتمع عليه هو الإسلام كرسالة من رب العالمين إلى عباده، أم هو الدولة الإسلامية المتفرعة عن هذه الرسالة؟ بمعنى آخر هل نحن حركة سياسية إديولوجيتها الإسلام؟ أم نحن حركة إسلامية تمارس السياسة؟

لقد كنا -وكثير من الحركات الإسلامية- إلى المعنى الأول أقرب."

- من مواليد 1954 بالرباط
- نائب برلماني
- خريج كلية العلوم تخصص فيزياء
- أستاذ سابق بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط
- رئيس حركة الإصلاح والتجديد سابقا
- عضو المكتب التنفيذي لحركة التوحيد والإصلاح
- النائب الثاني للأمين العام لحزب العدالة والتنمية
- عضو اللجنة الخاصة لإصلاح نظام التربية والتكوين
- واعظ وخطيب بمساجد الرباط وسلا
- مدير جريدة الإصلاح الموقوفة
- مدير جريدة الراية سابقا
- مدير مؤسسة أرض السلام بسلا

منشورات الفرقان

الثمن: 12 درهم